طلعنا عالحريّة

حرية كرامة مواطنة

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

العدد 56

2015 / 9 / 27

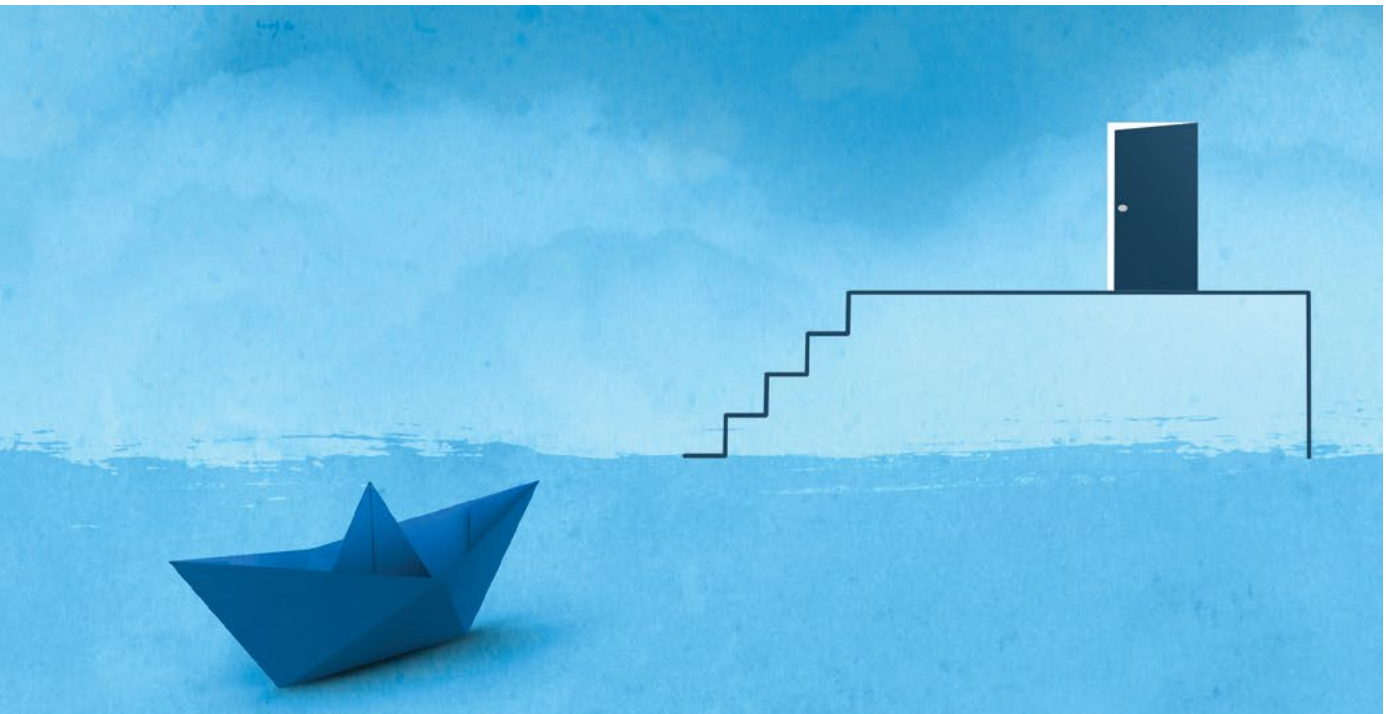

أغرقتهم تركيا وأنكرهم السوريون

خفر السواحل التركية يقتل 30 سورياً
ثم يعتقل البقيّة ويرحّل قسماً منهم إلى سوريا

حدود التدخل العسكري الروسي في سورية.. وآفاقه

بضعة خطوط.. بضعة خطوات نحو المعتقل

عن الرسام الشهيد أكرم رسلان

مقالات

- قضايا الكفر والإيمان والإكراه بين نسخ الحداثويّين والمتشدّدين
- البنى الطبعية وتأثيراتها في تمايزات مواقف السوريين
- السويداء.. واحتمالات المواجهة
- العمالة السورية في لبنان

على الخريطة..

افتتاحية بقلم أسامة تصّار

درج لدى المحطات الإعلامية ومراكز الأبحاث المهتمة بالشأن السوري أن يضعوا خرائط لتوزع السيطرة في سوريا. والمقصود بخارطة السيطرة دائماً هو وجود القوات العسكرية. والمعيار الوحيد المعتمد لرسم هذه الخرائط وتغييرها كل يوم وكل ساعة هو الأماكن التي تتمركز فيها القوات المسلّحة لكلّ فئة من المتقاتلين. تتمركز حتى ولو مختبئة في خنادق قتالية أو متحصّنة وراء دشم. ولا يهمّ أن تكون المنطقة وسكانها محاصرين من كل الجهات ويأتيهم القصف الجوي والمدفعي وخلافهما من كل مكان.. بل المهم أن تنصب هذه القوات حواجزها بدءاً من أول (منطقتها) وحتى (حدود) منطقة الخصم التالي. وتشكل الحواجز (نقاط التفتيش) مشعراً يدلّ على بسط السلطة، فلا وظيفة أمنيّة حقيقية لمعظمها.

تقسم معظم الخرائط سوريا (أو سوريا والعراق) إلى: مناطق تحت سيطرة داعش، مناطق تحت سيطرة نظام الأسد، مناطق تحت سيطرة القوات الكوردية، ومناطق تحت سيطرة (المعارضة المسلّحة) ومناطق متداخلة. بعض الخرائط تعطي أو تحذف تفاصيل وفقاً لسياسة من يضع الخريطة ويعدّل عليها؛ فهناك مثلاً من يميز بين مناطق جبهة النصرة ومناطق المعارضة المسلحة أو من يضمّ النصرة لداعش أو لكل ما هو إسلامي. وهناك من يعرّف جميع المناطق بدلالة خروجها عن سيطرة النظام ومواليه. وبالطبع هناك من يرجع كل فصيل للدولة أو لمجموعة الدول الداعمة له، ويقدّم بالنتيجة خريطة أخرى.

بناءً على ذلك، تكون حالياً مدن مثل حمص وحماة وبانياس وغيرها والتي ملأ أهلها الساحات في مظاهرات كرنفالية ضدّ الأسد، (تابعة) للأخير! وتكون الرقة (تابعة) لداعش، وتكون دمشق التي فيها عدة ملايين من الدمشقيين والنازحين من مناطق ثائرة... تكون (تابعة) للأسد!.. وهكذا.

بالطبع ليس ذلك حقيقياً ولا يبدو عادلاً. ولكن الاحتكام لمنطق القوة هو ما يعطي مثل هذه المخرجات، سواءً من قبل الفصائل على أرض المعارك أم من قبل الباحثين والمحللين. فمنطقة نفوذك هي المكان الذي تضع فيه حواجزك المسلّحة بغض النظر عن رضى الناس بك وميل قلوبهم وآرائهم، أو عن الخدمة التي تقدمها لهم بعد إعلانك السيطرة على أرضهم وبالتالي شروعك في حكمهم!

والسؤال: هل حقاً تنتمي هذه المناطق للقوات المسيطرة عليها عسكرياً (لنقل بالأحرى حواجزياً)؟

لا مكان هنا لتذكر خرائط المظاهرات وتعداد نقاط التظاهر والمتظاهرين التي درجت بدورها مع بداية الثورة السورية. ومن سوء الطالع أنه على امتداد الخارطة الصماء لسوريا اليوم، لا يمكن إجراء استفتاء علني يرصد رأي الناس وحقيقة ولاءاتهم وخيارهم بمن يريدونه لحكمهم. لكن الإجابة على هذا السؤال ستحدّد مكانك على خريطة احترام الناس والإنسان على حساب الرضوخ لحكم العسكر والغلبة.

إن أجبت بـ (لا) فأهلاً بك في (منطقتنا).. ولا تبتئس بالغربة.. «فعلى الخريطة كلّنا أغرابُ» !

حدود التدخل العسكري الروسي في سورية.. وآفاقه

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بتصّرف

بعد أن أعطت روسيا إشارات متعدّدة، توحي باستعدادها دعم جهد التوصل إلى حل سياسي للأزمة السورية، عادت إلى تأكيد موقفها الرافض تنحي الرئيس السوري، بشار الأسد، جزءاً من عملية انتقالية، نصّ عليها بيان "جنيف 1". كما تبيّن أنّ المرونة التي أبدتها روسيا، طوال السنة الماضية، لم تكن سوى تكتيكات سياسية، هدفت من خلالها إلى امتصاص النجاحات العسكرية التي كانت تحققها المعارضة المسلحة السورية على الأرض من جهة، واستخدام اتصالاتها بالمعارضة غطاءً للتمويه على توجّهها المضمر لرفع مستوى دعم النظام السوري، والذي جرت ترجمته، مطلع سبتمبر/ أيلول الجاري، بتدخل عسكري مباشر، ينذر بتداعيات سياسية وعسكرية كبيرة.

ومع أنّ موسكو عدّت تدّخلها الراهن امتدادًا لوجودها القديم، فإنّ صور أقمار صناعية نشرتها وسائل إعلام مختلفة تظهر بدء العمل على إقامة قاعدة عسكرية روسية جديدة في مطار حميميم (باسل الأسد) الذي يبعد نحو 22 كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة اللاذقية، ويجري توسيع مدارج المطار وتأهيله، لاستقبال طائرات الشحن الكبيرة، وتجهيز مساكن مسبّقة الصنع لإقامة الجنود. كما أرسلت موسكو ست دبابات حديثة من طراز T-90، و15 مدفع هاوتزر، و35 ناقلة جند مدرعة، و200 جندي من مشاة البحرية الروسية إلى القاعدة الجديدة لتأمين الحماية لها.

وعلى الرغم من أنّ روسيا تصرّ على أنّ طبيعة وجودها العسكري في سورية لم تتغير، وأنّ معظمه يتشكل من "خبراء يقدمون المساعدة فيما يتعلق بإمدادات الأسلحة الروسية إلى سورية التي تهدف إلى محاربة الإرهاب"، فإنّ

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

هيئة تحرير طلعنا عالحرية
رئيس التحرير: ليلى الصفدي
معاون رئيس التحرير: أسامة نصّار
المحرر الثقافي: رامي العاشق
محرر القسم الكوردي: ميرال بيروردا
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية: رزان زيتونة - ناظم حمادي

تحتاج المعارضة إلى توحيد الجهد السياسيّ والعسكريّ في تيارٍ واحدٍ، ذي أذرعٍ عسكرية وسياسية وإعلامية، والتعامل مع الوجودين العسكريّين، الروسي والإيراني، بوصفهما احتلالاً أجنبيًا مباشرًا وصريحًا

حركة طائرات الشحن الروسية توضح أنّ التدخل العسكري الروسي في سورية يتعاظم يومياً، ويأخذ أشكالاً مختلفة: قوات خاصة، وتدخل سريع، وخبراء، ومدربون، ومستشارون، بالإضافة إلى مدّ النظام السوري بمعدات وأسلحة ذات قدرات تدميرية عالية، استخدمت في قصف مدينتي الرقة وحلب، وغيرهما في الأيام القليلة الماضية.

دوافع التدخل

وفرت روسيا على مدى السنوات الخمس الماضيّة، أي منذ اندلاع الثورة، غطاءً سياسيًا ودبلوماسيًا فعالاً، حمى النظام السوري من أشكال الإدانة القانونية والسياسية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وعلى الرغم من مشاركتها في صوغ بيان جنيف في 30 يونيو/حزيران 2012 الذي نصّ على تشكيل هيئة حكم انتقالية بصلاحيات تنفيذية كاملة، خطوة لازمة وضرورية على طريق حل الأزمة سياسياً، سعت روسيا إلى فرض تفسيرها الخاص للبيان، من خلال الإصرار على اعتبار الأسد جزءاً من المرحلة الانتقالية، ثم ربط مصيره وبقائه "بإرادة الشعب". في هذه الأثناء، أخذت موسكو على عاتقها مهمة تقسيم المعارضة وشرذمتها على نحو أوسع، كما سعت إلى تفريغ الاعتراف الدولي بالائتلاف الوطني المعارض، باعتباره ممثلاً لقوى الثورة والمعارضة، من مضمونه، ودعت إلى مؤتمرات حوارية (موسكو 1، و2) بغية تصنيع معارضات أقرب إلى مواقفها. بيد أنّ المكاسب التي حققتها المعارضة المسلحة، في النصف الأول من عام 2015، أفشلت هذه المساعي، ودفعت باتجاه تحرك دبلوماسي نحو السعودية خصوصًا.

وتحت عنوان محاربة "إرهاب تنظيم الدولة الإسلامية - داعش"، دعت موسكو إلى إنشاء تحالف عريض، يضم إلى جانب النظام السوري، "المُطعَّم" ببعض المعارضة، كلًا من السعودية وتركيا والأردن. ولهذا الغرض، نجحت موسكو في ترتيب اجتماع بين المسؤول الأمني السوري الأول، اللواء علي مملوك، ووزير الدفاع السعودي الأمير محمد بن سلمان في جدة في يوليو/تموز الماضي. ولما فشلت المساعي الروسية في تحقيق أي نتيجة على صعيد إقناع السعودية بقبول الصيغة الروسية للحلّ في سورية، بدأت روسيا تدّخلها المباشر إلى جانب النظام، منعاً لانهياره بشكل مفاجئ، بعد أن بلغ مرحلة متقدمة من الضعف والإنهاك على يد فصائل ذات توجهات إسلامية معادية للنظام ولتنظيم "داعش" في آنٍ معاً، بما يؤدي إلى فقدان موسكو جميع استثماراتها السياسية في الأزمة السورية، وفي ظل مؤشرات كثيرة أيضاً على أنّ موسكو تفقد نفوذها بشكل متزايد في المناطق التي يسيطر عليها النظام، لمصلحة إيران وحزب الله.

اختارت روسيا ظرفاً إقليمياً ودولياً ملائماً لتدخلها، وبرّرته بعجز التحالف، بعد عام على بدء ضرباته في سورية، في إضعاف "تنظيمَ الدولة"، وفشل أميركا في تدريب شريك ميداني مقبول وتجهيزه لمواجهته على الأرض. وللتغطية على تدخلها إلى جانب النظام، عرضت موسكو على واشنطن التنسيق في "الحرب على الإرهاب" في سورية، وهو عرض لم تملك إدارة أوباما التي يتملّكها هاجس مواجهة تنظيم "داعش" أن ترفضه. وزيادة في طمأنة واشنطن، قام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بحسب وسائل إعلام إسرائيلية، بتنسيق خطواته في سورية مع رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، في مؤشرٍ جديدٍ آخرَ على عمق العلاقة والتعاون التي تربط موسكو وتل أبيب، والتي كانت محطة بوتين الخارجية الأولى، بعد إعادة انتخابه عام 2012.

كما تزامنت الخطوة الروسية مع موجة لجوء كبرى إلى أوروبا، من المهجّرين السوريين، أفرزت خطاباً أوروبياً جديدًا (ألمانيا، والنمسا، وإسبانيا، وبريطانيا، والمجر) يدعو إلى التعاون مع روسيا، لإيجاد حلٍ عاجلٍ، يوقف تدفق اللاجئين، حتى لو تطلب ذلك الانفتاح على الأسد أو التخلي عن مطلب رحيله في المدى المنظور. إقليمياً، استغلت روسيا انشغال الدول الداعمة للمعارضة السورية بمسائل أخرى أكثر إلحاحاً لتمرير تدخلها، من دون ردود فعل كبيرة؛ إذ تنشغل حكومة حزب العدالة والتنمية في تركيا في حربها ضد حزب العمال الكردستاني، وبانتخاباتٍ مبكرة مفصليّة، في حين يمثل الملف اليمني أولويةً قصوى، بالنسبة إلى السعودية ودول الخليج الأخرى.

التداعيات والنتائج

على الرغم من شعور القوة الخادع الذي يبديه النظام السوري، إثر شيوع أنباء التدخل العسكري الروسي لمصلحته، وتصريحات مسؤوليه عن "قلب الطاولة"، وتغيير المعادلات العسكرية والسياسية، فإنّ التدخل الروسي لن يصنع فارقاً كبيراً في موازين القوى القائمة حالياً كون هدفه يبقى محصوراً في منع سقوط النظام، وليس استعادة ما خسره النظام من أراضٍ ومدنٍ في الفترة الماضية؛ فهذا أمر عجزت عن فعله إيران، وجميع المليشيات الطائفية التي تعمل لحسابها. كما أنّ التدخل الروسي سيظلّ مقتصراً على الأرجح على دمشق ومنطقة الساحل التي توليها روسيا أهميةً خاصةً، بوصفها منفذاً بحرياً على البحر المتوسط، وتمتلك فيها امتيازات حصرية (25 عامًا) تسمح لها بالتنقيب عن النفط والغاز في المياه الإقليمية السوريّة، وذلك بحسب الاتفاقية الموقعة بين النظام والحكومة الروسية في أواخر عام 2013. وبناءً عليه، قد يساهم التدخل الروسي في تعزيز مواقع النظام ومنع سقوطه، وفي رفع الروح المعنوية المنهارة لقواته وحاضنته الشعبية، وفي عرقلة مساعي المعارضة للسيطرة على الساحل وجباله اللصيقة بمنطقة سهل الغاب، لكنه لن ينجح أبداً في إعادة النظام إلى المناطق التي خرجت عن سيطرته، كما أنه يصعب تخيّل تدخلٍ عسكري روسي برّي في مناطق تسيطر عليها المعارضة. وبهذا، سوف يؤدي التدخل الروسي فحسب إلى إطالة أمد الصراع، وزيادة معاناة السوريين من الفئات كافة.

وإذا ما تجاوزنا التداعيات الميدانية، فإنّ روسيا تحاول، من تدخلها العسكري، فرض رؤية جديدة للحل، تنسف بيان "جنيف 1"، وتربطه، بحسب تصريحات بوتين أخيراً، بانتخابات برلمانية "مبكرة"، وتشكيل حكومة تضم ما أسماها "معارضة رشيدة" تحت قيادة الأسد. وجاءت تصريحات وزير الخارجية الأميركي، جون كيري، أخيراً عن إمكانية بقاء الأسد في مفاوضات تستمر فترة غير محددة، لتزيد من مخاوف المعارضة السوريّة، لجهة رضوخ الولايات المتحدة والدول الغربيّة للرؤية الروسية حول سبل حل الأزمة في سورية، وقبول مقترحها القيام بالمهمة المستحيلة، المتمثلة بإعادة تأهيل النظام، واعتماده شريكاً ميدانياً في الحرب على تنظيم الدولة.

وأخيراً، تواجه المعارضة السورية مستجدات سياسيّة وعسكريّة، لا تصبّ في مصلحتها. ولمواجهة ذلك، تحتاج المعارضة إلى توحيد الجهد السياسيّ والعسكريّ في تيارٍ واحدٍ، ذي أذرعٍ عسكرية وسياسية وإعلامية، والتعامل مع الوجودين العسكريّين، الروسي والإيراني، بوصفهما احتلالاً أجنبيًا مباشراً وصريحًا، كما تحتاج إلى إطلاق نوعٍ من حركة تحررٍ وطنيّ، ذات برنامجٍ ديمقراطيٍ موحد، لقطع الطريق على محاولات تسويف نضال الشعب السوري وتضحياته، واعتماد حلولٍ جزئية لا تلبي طموحاته وأهداف ثورته، والتوجه إلى مقاومة الوجود العسكري الروسي، بجميع الوسائل المتاحة، وخصوصاً أنّ الرأي العام الروسي يبدو شديد الحساسية تجاه خسائر ومغامرات في مناطق وأزمات، لا تشكل بالنسبة إليه أولوية، بل تعيد إليه ذكريات أفغانستان المريرة.

أغرقتهم تركيا وأنكرهم السوريون

خفر السواحل التركية يغرق مركبًا للاجئين سوريين فيقتل 30، ثم يعتقل البقيّة ويرحّل كثيرًا منهم إلى سوريا.

رامي العاشق- ألمانيا

كان يمكن أن ينتفض الناس، ويشارك جميع الناشطين بحملات للدفاع عنهم والتحقيق بقضيّتهم، لولا أنّ المتّهم هنا تركيّا، هنا تصبح الجريمة أمرًا قابلًا للشك، ويمكن للضحايا أن يكونوا كائنات فضائيّة لا وجود لها.

إغراق القارب

انطلق مركب خشبيّ بتاريخ 2015\9\15 من (بودروم) إلى اليونان، كان يحمل قرابة 250 مهجّرًا أكثرهم من السوريّين، اعترضهم خفر السواحل وأطلق النار بشكل مباشر على القارب، ثم أثار موجات التفافيّة لقلبه، ثم بدأ برشّه بخراطيم المياه حتى غرق، وتركهم لأكثر من ساعة ونصف في المياه قبل أن تأتي سفينة أخرى لانتشالهم، غرق في هذه الفترة قرابة 30 شخصًا، أحدهم رضيع اسمه "مجد" 12 يومًا غرق مع أمّه. اقتيد الناجون إلى المخفر، ثمّ احتجزوهم في "بيت الضيافة العثمانية"، بعد أن صادروا جميع وثائقهم الثبوتيّة.

جريمة قتل موصوفة

يقول رئيس تجمّع المحامين السوريين الأحرار، المحامي غزوان قرنفل: "لا يحق لخفر السواحل التركية إغراق مركب يحمل مهاجرين غير شرعيين، بل يملك الحق بمحاصرته وقطره إلى الشاطئ، ومن ثم مساءلة ركابه، أما عملية الإغراق فهي جريمة قتل موصوفة، خصوصا أنه نجم عنها ضحايا فقدوا حياتهم، وتتحمل السلطات التركية مسؤوليتها".

لأنهم شهود على جريمة

في اليوم التالي لإغراق القارب، خرج قاربان آخران خشبيان أيضًا، ليلًا، باتجاه إيطاليا، وتعرّض لهما خفر السواحل التركية، ورشّهما بخراطيم المياه، وصنع موجات التفافيّة، إلّا أنه لم يُغرق القاربين، أوقفهما وأعادهما واحتجز من عليهما في أحد الملاعب، ثم أطلق سراح الجميع بعد 48 ساعة، ونشرت حملة مهجرون لا مجرمون فيديوهات توضّح محاولات الإغراق التي قام بها خفر السواحل على القاربين، ومجموعة من الصور قبل وأثناء غرق القارب الأول.

شهادات الناجين من القاربين مقترنة بالفيديو، تؤكد أنهما كانا يحملان الكثير من الأطفال والشيوخ والمقعدين والمرضى الذين يقطعون البحر للحصول على العلاج، وعلى إطلاق سراحهم بعد 48 ساعة، وهذا ما يجعل سبب توقيف مجموعة القارب الأول هو أنهم شهود على جريمة الإغراق غالبًا.

اعتقال وترحيل إلى الموت

التقى المحتجزون هناك بمحتجزين آخرين كانوا قد اعتقلوا من الشارع دون أية تهمة، أحدهم قاضٍ من درعا اعتقل من أمام الفندق الذي يقيم فيه في أزمير، والآخر شاهين برزنجي وهو فنّان تشكيلي اعتقل من الشارع أيضًا، فيما رحّلت السلطات التركية عائلات مسيحيّة وكرديّة إلى سوريا وغيرها إلى لبنان التي أتوا منها بشكل نظامي، ويخشى كثيرون من انتهاكات قد تصيب من تمّ ترحيلهم.

حملة مهجّرون لا مجرمون

أطلقت مجموعة من الناشطين السوريّين حملة #مهجرون_لا_مجرمون للضغط باتجاه الإفراج عن المعتقلين في سجن العثمانيّة، والتحقيق في حادثة إغراق المركب، وتوجّهوا برسائل مكثّفة للمعارضين السوريّين عبر هواتفهم الشخصيّة وخاصّة أعضاء الائتلاف، الذي يشدّد ويؤكّد دائمًا على أنه الممثل الشرعي والوحيد للشعب السوري، وبالتزامن مع هذا الضغط، أرسلوا رسائل باللغة التركيّة إلى سياسيّين ودبلوماسيّين أتراك، ورسائل إلى هيئات دوليّة ومنظّمات حقوق الإنسان العالميّة، ووكالات الأنباء والصحف.

الائتلاف بين التكذيب والإهمال

الرسائل التي وُجّهت إلى المعارضة السوريّة طالبتهم بالقيام بواجبهم، والتحرّك من أجل الإفراج عن المحتجزين والتحقيق في الجريمة، بعضهم وعد بالتحرك ولكنّ معظمهم لم يردّوا حتّى أولئك الذين أعاد عمر إدلبي إرسال الرسالة لهم ضمن غرفة خاصّة بقيادة المعارضة، بينما ذكر منذر ماخوس إنه ليس مسؤولًا عن هذه القضيّة، بل هي مهمّة رئيس الائتلاف وسفيره

في تركيا، وردّ رئيس المجلس الوطني جورج صبرا على إحدى الرسائل: "الموضوع الذي أثير وبالشكل الذي وصفته، فيه مبالغة ومغالطة، لم ولن يحصل تسفير أي سوريّ إلى سوريا تحت أي ظرف ولأي سبب، وهذه ضمانة تركية ودوليّة، فلننسَ هذا الأمر".

هذه الاستهانةُ بأرواح السوريّين وحرّياتهم وكرامتهم، تدلّ بما لا يقبل الشك على ارتهان هذه المعارضة لسياسات داعميها، وتعرّي ادّعاءاتهم في الدفاع عن السوريّين، وتعيدُنا إلى حياتنا تحت ظلّ الأسد وشبّيحته، حيث يُعتَقل الناس أو يموتون دون أن يجرؤ أحد على السؤال عنهم، لأنّ القاتل "مدعومٌ" وسلطته أقوى من القانون.

ردّة فعل الجانب التركي

السياسي التركي عبد الحميد عصفور ردّ على رسائل الحملة: "اتقوا الله يا كذابين، يا شبيحة" فيما أنكر المحلل السياسي التركي زاهد غول الخبر وقال: "أنا أعرف بتفاصيل الإغراق المتعمّد للمراكب، ولكنه ليس من قبل الخفر التركي" فيما ردّ على مخاوف الترحيل: "العودة إلى سوريا إلى مناطق المعارضة".

وفي مكالمة هاتفيّة بين عضو الائتلاف محمد جوجة وأحد المحتجزين في العثمانية قال الأول: "إن مسؤولين أتراك اتهموا خفر السواحل اليونانية بإغراق المركب في المياه اليونانية، وأشاروا إلى اقتصار دور خفر السواحل التركية على إنقاذ الغرقى" الأمر الذي نفته اللجنة الإعلامية للحملة: "هذا غير صحيح لأن خفر السواحل التركي لا يستطيع دخول المياه الإقليمية اليونانية، وإن كان ذلك صحيحًا فلماذا قام البوليس التركي باعتقال الناجين بدل الاهتمام بهم وتقديم الراعية الطبية؟ علما أن أحد الناجين من الغرق ويدعى "عبد الحفيظ عبد القادر حسين" قد توفي بعد يومين داخل المخيم بسبب الإهمال الطبي فهو مصاب بمرض الكبد ولم يحصل على العلاج".

إضراب عن الطعام واعتداء على اللاجئين أمام وفد الأمم المتحدة

بتاريخ 2015\9\22 دخل سيّارة تابعة للأمم المتحدة بعد ضغوطات الحملة، والتقت بالمسؤولين عن الحجز وخرجت بعد ساعة دون أن تقابل أحدًا من المحتجزين، وكانت مجموعة من المحتجزين قد أعلنت إضرابها عن الطعام حتّى يتم الإفراج عنها، وقال شاهين برزنجي: "أمام أعين الأمم المتحدة، التي لم يكلف موظفوها أنفسهم إزالة النظارات الشمسية والنظر إلى اللاجئين، تم الاعتداء على لاجئ سوري مسن وشابين آخرين". فيما أكّد برزنجي أنه بتاريخ 2015\9\21 "تم إطلاق سراح مجموعة من العراقيين بعد تدخل القنصل العراقي، بينما نحن السوريين على ما يبدو ليس لنا أحد".

منع وفد الائتلاف من الدخول

في اليوم الذي وصلت فيه سيّارة الأمم المتحدة وخرجت، وصل وفد الائتلاف ممثلا بمحمد قدّاح ومحمد جوجة، ومُنع من الدخول بعد أن انتظر لأكثر من ساعة على الباب، بسبب عدم حصوله على موافقة من أنقرة.

الرابطة السورية للدفاع عن حقوق الإنسان تدين "الجريمة المروّعة"

"الرابطة السورية للدفاع عن حقوق الإنسان تحمّل السلطات التركية المسؤولية الكاملة عن إغراق مركب لاجئين سوريّين" هكذا عنونت الرابطة بيانها الصادر بتاريخ 2015\9\23 وصفت فيه الحادثة بـ "الجريمة المروّعة" وحمّلت الرابطةُ السلطات التركية المسؤولية الكاملة عنها وعن سلامة من تم ترحيله إلى سوريا، وطالبت بفتح تحقيق فوري والإفراج عن جميع المعتقلين.

اعتقال حركة أحرار الشام لمجموعة من المرحّلين

ذكر أحد المحتجزين في العثمانيّة -نتحفّظ على اسمه- أن أحد الذين تم ترحيلهم إلى سوريا تواصل معه، وأخبره أن "حركة أحرار الشام حقّقت مع جميع المرحّلين من تركيا، وأطلقت سراحهم فورًا، باستثناء 7 أكراد من مدينة عفرين، لم يطلق سراحهم ولا نعرف عنهم شيئًا إلى اليوم". وصرّح مصدر مقرّب من أحرار الشام فضل عدم ذكر اسمه: "تواصلنا مع أحرار الشام بخصوص المعتقلين السبعة، وكان ردّهم أنهم الآن لدى المحكمة الشرعية، ويجري التحقيق معهم في اتهامات نسبت إليهم بارتكابهم جرائم حرب مع وحدات الحماية الشعبية التابعة لحزب (PYD) الكردي".

يعلّق المحامي غزوان قرنفل: "يحظر القانون الدولي إعادة لاجئ أو طالب حماية إلى بلد أو مكان يخشى على حياته فيه أو هناك احتمال لتعرضه للتعذيب، وعملية الإبعاد أو الطرد تخالف أحكام المواد 32 و33 من اتفاقية حقوق اللاجئين الدولية كما أنها تخالف أحكام قانون الحماية الدولية التركي، ويحق لمن تقرر طرده وإبعاده الطعن بقرار الإبعاد أمام القضاء الإداري التركي خلال مهلة 15 يوم ، وإصدار الحكم خلال 15 يوم أخرى، وكان يتعين حتى لو صدر حكم قضائي بإبعادهم، منحهم مهلة كافية ليتدبروا بلدا يقبل بإيوائهم بدلا عن سوريا" .

منظّمة العفو الدولية تصدر بيانها: لاجئون تحت خطر الترحيل القسري إلى سوريا

أصدرت منظمة العفو الدولية الخميس 2015\9\24 بيانًا بخصوص الحادثة ذكرت فيه أنّ "خفر السواحل أكد أن هناك 249 لاجئًا تم إنقاذهم و22 جثة تم انتشالها بينهم أطفال" وأنّ: "اللاجئين وقعوا على أوراق لم يفهموها لأنها بالتركية" كما وصفت احتجاز اللاجئين بـ "الاعتقال"، وطالبت وزير الداخلية التركي بإيقاف إعادة اللاجئين إلى سوريا والعراق، وإطلاق سراح بقية اللاجئين ومنحهم حماية مؤقتة وتمكينهم من تقديم طلبات لجوء ومطالبة وزير العدل التركي بفتح تحقيق محايد بالقضيّة.

إمكانية التحقيق بالقضيّة بطريقة أخرى

يختتم المحامي غزوان قرنفل : "لا يحق لنا كمحامين العمل في تركيا، وعندما رخصنا التجمع وقعنا على تعهد خطي بعدم طلب ممارسة المهنة، لذلك لابد من توكيل محام تركي للطعن بكل ما تم من إجراءات تنتهك حقوق اللاجئ، وإقامة دعوى لمساءلة الدورية التي أغرقت المركب عن حياة الضحايا وطلب التعويض لذويهم، ولا أنصح بترك الائتلاف والحكومة خارج الموضوع، بل يتعيّن إحراجهم وتعريتهم، وأنصح ذوي الضحايا والمتضررين بالاعتصام في مقر الحكومة المؤقتة، وإلزامها على توكيل محامين لوضع نهاية لهذا العبث بالسوريين، فلا يجوز أن يصبح السوريون مكسر عصا لكل من هب ودب".

قضايا الكفر والإيمان والإكراه بين نسخ الحداثويّين والمتشدّدين

د.عماد العبار

يرى كثير من المسلمين الحداثويّين (إن صحّ الوصف) أنّ علينا أن نحدث قطيعة مع كل النزعة التراثية الماضوية، سيّما المفاهيم التقليدية التي تقسم الناس إلى مؤمن وكافر، أو التي تفرّق ما بين فرقة ناجية وفرقة ضالّة ..

في الواقع إن الفرز بين الإيمان والكفر، أو الهدى والضلال، ليس مجرّد نزعة تراثيّة ماضويّة أو محض مفاهيم تقليدية، بل نزعة قرآنية أصيلة من صميم الخطاب الإلهي.. نعم، هي كذلك، حتى وإن شكّلت حرجاً للبعض في تعاملهم مع النص القرآني، فلا تكاد تخلو سورة من كلام في ضوابط الإيمان وصفات الكفر والكافرين أو منّ تحذير من الوقوع في الشرك، أو من أمر بتبليغ هذه المفاهيم القرآنية إلى الآخرين، وعلى رأسها مفاهيم الفرز نفسها..

وحين يحدّثنا القرآن عن الكفر، فإنّ المعني بالكلام ليس الأشخاص وإنما الأفكار والسلوك، بحيث أن خطاب الكفر والإيمان سيكون خطاباً عامّاً موجّهاً للمؤمن بالقرآن وللكافر به بنفس القدر.. التحذير سيكون للمؤمنين بالانتباه لمسائل الشرك لتجنّب الوقوع فيه.. فهو يحدّث عن الشركيّات التي قد تتداخل مع الإسلام.. وسنجد أنّه يوصّف أحوال الكافرين به بما لا يدع أي مجال للشك في الأهمية التي يوليها القرآن لمسألة الفرز بين الإيمان والكفر، بما يجعل تحييد هذه الجزئية عن رسالة الإسلام مسألة من الاستحالة بمكان.. والآيات كثيرة جداً في هذا السياق:

] وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[.

] الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ[

] زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[..

يأتي الحرج عند شريحة واسعة من الحداثويّين اليوم عند التعامل مع قضايا الكفر والإيمان كنتيجة لعاملين رئيسيّين:

الأول: التطبيق الخاطئ لمسألة تبليغ مفاهيم الكفر والإيمان عند فئة من المتشدّدين الإسلاميّين.. هؤلاء عملوا على إنزال العقوبة بمن اعتقدوا أن صفات الكفر تنطبق عليه، متجاهلين أنّ العقاب الذي نصّ عليه القرآن هو عقاب أخروي وليس على الرسول إلّا البلاغ:

]إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ[..

وإذا كان هذا حال الرسول المبلّغ، فلا شكّ أن الأمر يتطلّب تواضعاً أكبر من أتباعه الذين يتوجّه إليهم الخطاب النبوي أيضاً بالتحذير من الوقوع بالكفر، إن أقدموا على ممارسات قد لا نعتبرها عقائديّة، إن لم ننظر في التحوّلات الفكرية والنفسيّة المرافقة لها، فعلى سبيل المثال يخاطب صلى الله عليه وسلم أتباعه قائلاً: "لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"..

وللالتفاف على هذه الآيات التي تدعو إلى التبليغ بالحسنى وترك أمر حساب الناس لخالقهم، لجأ أصحاب هذه الدعوات إلى اعتماد مقولات النسخ المتهافتة، والتي تدّعي أن آيات الدعوة والموعظة الحسنة قد نُسخت بآيات السيف.. هكذا وبدون أن يشعر هذا الفريق بأنّه أساء إلى القرآن، قام أصحابه بنسف ما لا يقلّ عن نصف القرآن!

العامل الثاني: تأثّر كثير من الحداثويّين بالمناهج غير الإسلامية، وبتصوّرات الآخرين عن الحياة.. فمن ضمن الأفكار التي قام عليها التنوير الأوروبيّ فكرة تحييّد الدين عن الحياة العامّة والفصل بينه وبين الدولة للحد من التدخّلات الوصائية لرجال الدين المسيحي؛ حيث كانت تمنح قبل ذلك صكوك الغفران، ويتم إنزال العقاب من قبل الذين اعتبروا أنفسهم وكلاء الرب على أرضه وأصحاب الحق في إزهاق حياة الناس بناء على معتقداتهم.. هذه الثورة كان من نتائجها الحد من الكلام في مسائل الكفر والإيمان على اعتبار أنّها ستصل بالمجتمع إلى ما وصلت إليه مجتمعات ما قبل النهضة..

انتقلت هذه الحساسية من موضوع الكفر والإيمان، وهي حساسيّة غربيّة بتصوّري، إلى العالم الإسلامي من جملة المفاهيم التي جرت عولمتها باعتبارها ثقافة الأقوى ومفاهيمه، وتلقّتها تيّارات ترى أنّ الغرب أصبح بتفوّقه معياراً أعلى لقيم الإنسانية والحضارة ولتحديد موقفنا من الدين وفهمنا له..

ساعدت جرائم متطرفين إسلامين على تثبيت مثل هذه الأفكار، واقترنت مسألة الحديث في ضوابط الكفر والإيمان (التي بنى عليها قسماً هامّاً من التصور الإسلامي عن الحياة) بمسائل التكفير التي تتناول أشخاصاً بعينهم وتنتهي بالقتل.. عمل بعضهم على إغفال آيات التمييز بين الكفر والإيمان في مقابل تسليط الضوء على آيات أخرى تتحدّث عن اللاإكراه في الدين، وجرى التشديد عليها بما يوحي وكأنّها تعادل الدين بأكمله! لدرجة أنّك تجد في خطابات بعض الإسلاميّين كلاماً متكرّراً عن الطريقة المثلى لإيصال الدين إلى الناس، وهي طريقة اللا إكراه والتبليغ بالتي هي أحسن، بينما يكاد يغيب عن خطاباتهم مواضيع أخرى من صلب الدين ولا تقل أهميّة، وبصورة خاصة مفاهيم الكفر والإيمان وفق التصوّر الإسلامي !

في المحصّلة، أراد فريق أن ينسخ آيات اللاإكراه والدعوة بالتي هي أحسن لرغبته في إنزال العقوبات الأخروية بيديه! بينما وقع الطرف الآخر -من حيث لا يدري ربّما- في نسخ معاكس (إن صحّ التعبير) لقضايا الكفر والإيمان مسايرةً أو تأثّراً (بحسب تقديري) لتصوّرات غير قرآنية، بشكل مماثل لحرجه أمام سلوكيّات عمّمتها حضارة الغرب يطلق عليها النص وصف "الفواحش"!..

وبين النسخ التقليدي والنسخ (الحداثوي) المعاكس، يوشك القرآن أن يصبح مجرّد كلمات للترتيل في الصلوات الخمس ..

أخيراً، بعد تحييد دعوات النسخ والتخلّص من هيمنة المفاهيم الغربية، يبقى المنهج القرآني بتصوّري واضحاً في هذه المسألة لا لبس فيه:

فهو واضحٌ في الموقف من الكفر وفي ضرورة تبليغ هذا الموقف القرآني للمخالفين [قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ]..

وواضحٌ في التعامل السلميّ مع الكافرين: [فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ].

وواضحٌ أيضاً في أن المؤمن ليس له من الأمر شيء، والحساب أخروي بالمطلق:

[وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا]

هل أصاب دي ميستورا عين الحقيقة

ابو القاسم السوري

لعل أروقة السياسية المتصلة بالشأن السوري تصوب جل نظرها هذه الأيام من جهة أولى اتجاه التطورات الميدانية على الأرض سواء سقوط مطار أبو الظهور او معركة الزبداني واخيرا معارك الغوطة الشرقية، والتي من المتوقع أن يكون لها ابعاد سياسية عديدة مهمة اذا ما كتب لهذه المعارك تحقيق أهدافها التي انطلقت لأجلها، ومن جهة ثانية اتجاه الجهود الدبلوماسية التي يقوم بها المبعوث الدولي ستيفان دي مستورا لحل الأزمة السورية، ولعل العديد يرى ان التطورات على الواقع قد تجاوزت ما يسمى الخطة التي طرحها المبعوث الدولي والتي سربتها جريدة الحياة اللندنية من خلال نشر وثيقتين تحت مسمى (مسودة اطار تنفيذ جنيف)، ولكن يرى بعض المحللين ان التطورات على الارض لا تخرج عن اطار تهيئة الارضية الضاغطة على اطراف الصراع في سورية لإيجاد الاجواء السياسية المناسبة لتمرير هذه الخطة، ويجب ان ندرك ان هذه الخطة تحمل أهمية سياسية لا يستهان بها وحتى ان لم يتبن البيان الرئاسي لمجلس الامن بموافقة أعضائه الخمسة الدائمين هذه الخطة المسربة بحذافيرها، ولكن كان واضحا ان المبادئ الاساسية الحاكمة لهذا الخطة بالإضافة الى مجموعات العمل الاربعة التي طرحتها الخطة اصبحت على جدول الاجندة السياسية الدولية والتي يمكن القول انها محل توافق دولي.

ومن خلال استعراض ما سربته جريدة الحياة يجد المدقق فيها والباحث السياسي المؤيد للثورة عشرات النقاط التي قد يكون الهدف منها الانقضاض على الثورة وتعويم النظام واعادة شرعنته، ومن هنا يمكن تفهم مواقف العديد من الجهات السياسية المعارضة من هذه الخطة وما تسرب عنها، ولكن هل يكفينا ان نقول ان هذه الخطة هي خطة مضادة للثورة ويجب ان نرفضها او نتعامل معها؟

هل ما يزال هذا المنطق يصلح بعد ان أدرك الجميع ان القضية السورية لم تعد قضية سورية خاصة بل حلبة صراع اقليمي دولي، وفاتورة هذا الصراع هي دماء عشرات الالاف ونزوح الملايين وتهجيرهم، والذي من الممكن ان يكون بطريقة ما بهدف افراغ سورية ديموغرافيا؟

اعتقد ان الاجابة عن هذا السؤال يجب ان تحمل عمقا سياسيا أكبر، فصحيح ان الخطة التي سربت تحمل مخاطر كبيرة جدا، ولكن في نفس الوقت الخطة سلطت الضوء على نقاط

رئيسية يجب علينا نحن اولا كجهات محسوبة على الثورة السورية ان نجيب عليها، ولا يعني هذا الامر انني ادعوا الى تبني هذه الخطة او القبول بها، ولكن تسليط الضوء هو بهدف معالجة المخاطر واستغلال الفرص.

لعل اخطر ما تحتويه الخطة انها تعامت عن السبب الرئيسي للازمة السوية وهو اجرام النظام وقمعه للشعب السوري، ولكن في نفس الوقت يجب ان ندرك ان دي ميستورا هو وسيط لحل أزمة يهدف الى انهاء أزمة، وليس الى ارجاع الحقوق الى أصحابها، ومن هذا المنطلق ينظر دي ميستورا الى اطراف الصراع في سورية من نفس الميزان وليس من ميزان الجلاد والضحية، بالإضافة الى ذلك يوجد العديد من القضايا التي تطرقها الخطة والتي هي حقيقية مفاصل اساسية في العقدة السورية ولا نملك كثورة اجابة واضحة عنها وهي:

اولا: ان الخطة تدعو الى المحافظة على وحدة واستقلال وسيادة سورية، واعتقد ان هذا الامر في ظل المشاريع التقسيمية والمشاريع الضبابية يجب ان يصبح من اولى اولوياتنا.

ثانيا: قضية المكونات السورية المتعددة، فحقيقة يوجد اشكالية كبيرة لدى العديد من القوى المحسوبة على الطرف المضاد للنظام في مقاربتها لهذه القضية.

ثالثا: الفشل الكبير لقوى المعارضة في ادارتها للمناطق المحررة وخاصة اعادة الدورة الاقتصادية في هذه المناطق لوضعها الطبيعي.

رابعا: قضية الجيش، فغالبية مكونات الثورة السورية تريد حل جيش النظام لأنها تعلم ان هذا الجيش تحول الى ادارة قتل في يد النظام، ولكنها تعجز عن تقديم اجابات عن المؤسسة العسكرية البديلة له.

خامسا: العجز الكبير في قدرة أطراف الثورة السورية لحد الان على اثبات قدرتهم في المحافظة على المصالح الاقليمية والدولية الرئيسية.

في تموز عام 2012 صدر بيان جنيف، وفي حينها كان رفض قوى الثورة له عاما دون إدراك الاهمية السياسية له. بعد مضي الايام اصبحت القوى التي كانت تعارضه في الصباح والمساء هي أكثر الداعين له، واخشى ما اخشاه ان يكون ما نرفضه اليوم هو ما سنصبح نلهث له في الغد.

ان خطة دي ميستورا واضحة جدا واصابت عين الحقيقية، وأي جهود لحل الأزمة السورية ستفضي في النهاية الى ايجاد دولة مستقرة كي لا تبقى سورية مركز توتر وتهديد. وإذا كنا نريد تحييد النظام واخراجه من ان يكون أحد محاور او مرتكزات هذه الخطة يجب ان نجيب على السؤال التالي بشكل واضح: هل لدينا كقوى ثورة الارادة السياسية لتبني مشروع بناء دولة سورية موحدة ومستقلة، دولة تضم الجميع، دولة تكون مبنية على المؤسسات وليس على الفصائلية والمشاريع الضيقة؟

البنى الطبعية وتأثيراتها في تمايزات مواقف السوريين

سميح الصفدي

ثمة تمايزات ثقافية وأخلاقية بين مختلف الشرائح الشعبية في المجتمع السوري أدت إلى تمايزات في مواقفهم السياسية، وأثرت إلى حد بعيد في ولائهم للنظام أو للثورة أو حيادهم السلبي، وذلك بناءً على سمات طبعية تخص المرجعية الأخلاقية والأنماط التربوية المتفاوتة التي تربوا عليها، وهي باعتقادي أنماط عابرة للطوائف، وإن كان لأنماط معينة الغلبة لدى جماعات معينة ستتم الإشارة إليها لاحقاً.

لا نبالغ إذا قلنا أن روح الثورة السورية التي انطلقت عام 2011 وتمثلت في أبطالها الأوائل كانت روحاً دونكيخوتية مشبعة بالشجاعة والإيثار والضمير الحي، وكان يمكن لها أن تؤسّس فعلاً لواقع جديد وثقافة ضميرية جديدة فيما لو كُتبت لها الحياة، لكن مثلما كان دون كيخوته "رمز النبالة الساعية في خير الإنسانية، والذي دائما يصطدم بالواقع الكالح فينتهي بالإخفاق"، كذلك كانت الثورة السورية التي "عجزت وسائلها عن تحقيق أمانيها". فالقسوة والعنف المفرط الذين جوبهت بهما، والتآمر الدولي ضدها، أطاح بهذه الأحلام والبشارات، وقتل بالفعل حاملها الإنساني من قيادات الصفّين الأول والثاني وحتى العاشر لاحقاً... وبدا بالفعل أن الواقع السوري ينفتح على هوة سحيقة من العنف والنار والحقد انسحق على مذبحها آخر ما تبقى من عقل وحلم وضمير.

وبقدر ما كشفت الثورة السورية عن بطولات ومآثر أخلاقية قلّ نظيرها إنسانياً، كشفت على الجانب المقابل عن قلة أخلاق وغياب عارم للضمير الإنساني، وهنا أتحدث عن تناقضات المجتمع السوري ذاته، ولا يعنيني الموقف الخارجي من دول أو شعوب أخرى.

إن المشهد المرعب لطفل يُذبح، أو مسنّ يذّل ويعذّب، أو معتقل جوّع وعُذّب حد القتل، أو مشهد منازل تُهدم فوق رؤوس ساكنيها وتطحن عظامهم، ترتكبه أولاً وأخيراً أيادٍ سورية، وهو يستقطب حين عرضه على الشاشات خمسة مواقف أخلاقية متباينة لأناس سوريين (وأضع هنا كلمة «متباينة» تحت خمسة خطوط)، كيف يمكن أن يُفهم ذلك؟ وهل بالإمكان استيعاب هذا الاختلاف في المواقف عقلياً؟، أم إننا بحاجة لمفردات التحليل النفسي لفهم هذه التناقضات المرعبة وهذا الاحتيال الذاتي العجيب على أكثر الأمور وضوحاً وأكثرها «أولية»: القتل، الاعتداء السافر على حياة الناس وعلى الوجود الاجتماعي للبشر.

الأنا الأعلى المفقود

كان المفكر الراحل هشام شرابي قد رصد حالة لا متوقعة تفيد بضعف «الأنا الأعلى» في البنية النفسية العربية التي تتربى على القمع. فالطفل العربي باعتقاده «يشعر بالخجل أكثر مما يشعر بالذنب، والدافع إلى الخجل هو أن الآخرين يشاهدون ما ارتكبه من عمل سيء، لا لأنه يشعر بالندم على ذلك العمل السيء حاكماً على نفسه كما يجب أن يحكم».

ويضيف شرابي: «العيب الذي يشعر به الفرد هو ما يقوله الناس عنه»، وبالتالي فإنه يعمد إلى «إخفاء نواياه والحذر فيما يقوله بحيث يكون هناك معنى مبطناً وراء كل كلمة تصدر عنه، أو عن الآخرين».

وبما أن «الأنا الأعلى» والذي هو مرادف للضمير الأخلاقي، يفترض نوعاً من القدرة على الشعور بالمسؤولية، فإن الطفل الذي يتعود القسر والإتباع والتلقين لا يتأتى له أن يكون مسؤولاً، بل هو قاصر على الدوام، وموضوع لفعل الآخرين، وليس فاعلاً، وبالتالي فإن الفرد «يعفي نفسه من المسؤولية، مما يؤدي إلى غياب النقد الذاتي وإرادة العمل والمبادرة في الفعل». وبالنتيجة يبقى الأنا الأعلى لديه «كياناً غامضاً وغير تام، بل مجرد مركز للعادات الاجتماعية والقواعد الشكلية للسلوك».

وبكلمات أكثر سلاسةً يفسّر الكاتب: «إن الطفل الذي يخضع للإذلال والقمع عليه أن يتحمل سلطة أبيه إلى أن يستطيع التخلص منها، فهي لا قيمة ضمنية لها ويمكن رفضها لمجرد أنها لم تعد قادرة على فرض نفسها. أما التعويض الذي يحصل عليه الأنا فهو في تخلصه من الضغط الثقيل الذي كان يرزح تحته، وبالعثور على مخرج لحاجاته المكبوتة. وأما شكل السلوك الذي يتخذه هذا التعويض فهو ما يجري عند أفراد الطبقة الوسطى في المجتمع العربي، أي السلوك القائم على تركيز الذات والتنافس ونسيان المصلحة العامة واستبدالها بالمصلحة الفردية التي تصبح فوق كل مصلحة».

وبقدر ما لهذه الإضاءة الكاشفة للكاتب الراحل من أهمية فائقة، بقدر ما تنفتح على فضاء مجهول وسوداوي وأسئلة وإشكاليات كبيرة، وإذا كان «الأنا الأعلى» -مركز الأخلاق الفردية والجمعية ومحرك الضمير وأوجاع الشعور بالذنب- غائباً، أو في أحسن الأحوال «ضعيفاً»، فعلى ماذا سنعوّل في بناء حاضرنا ومستقبلنا، حريتنا، حقوقنا، وحدتنا وكرامتنا!؟

إذا كان كل التزام بمبادئ أو ضوابط أو تحريمات ناتجاً عن ضغط أو خوف من قوة خارجية ليس ضميراً، فإن الضمير على الأرجح هو ذلك الصوت الباطني المستقل النابع من أعماقنا الإنسانية، الذي لا يحتاج في تحكيمه إلى مكافآت، ولا يأبه بعقوبات، ولا يهتم بالأحكام العامة الجاهزة. إذن فهو من المفترض أن ينحو نحو الموضوعية والعدالة، وأكثر منهما نحو المحبة والرحمة والتسامح.

الضمير هو نتاج المواجهة ما بين الأنا الأعلى والأنا، ما بين الذات والذات، هو المراجعة والنقد والحساب الذاتي، كل المبادئ الأخلاقية المكتسبة دون هذه المواجهة لا تشكل بعد ضميراً.

وإذا كان الرضوخ للمبادئ «الأخلاقية» الصارمة المفروضة والسائدة عند الفئات الشعبية والمتدينة ينبع من القمع والخوف من القوى الخارجية: المجتمع والسلطة، الله والدين، ووكيلهما اللاشعوري الأب. فلأي شيء تخضع النخب العربية؟ و«المثقف» و«الفنان» و«الثائر»، «الملحد» في أحيان كثيرة، هل يمتلك هذا الخارجُ من بطن الاستبداد ضميراً؟ وما هو الجذر الحقيقي للمبادئ التي يدعو إليها ويحاول الذود عنها؟

تعثّر النمو وتثبّت الليبيدو

النتيجة التي أريد أن أخلص إليها، وإن احتاجت إلى تفسيرات إضافية لا مجال لخوضها هنا، هي أن الإنسان المفتقد للضمير هو بالضرورة كائن «غير مكتمل النموّ»، وإذا كانت الأدبيات التحليلية النفسية تفيدنا بأن الضمير يبدأ بالتشكل في السنوات الأولى من عمر الإنسان (ما بين السنة الرابعة والخامسة مع تصفية عقدة أوديب) فإن تعثر هذا التشكل لا بدّ سيُنتج شخصاً عُصابياً، وساحة الأنا لديه ستبقى خاضعة للتشكيلات النفسية السابقة على هذه المرحلة، وأعني التشكيلات الليبيدوية الأولى (الفموية، الشرجية، والقضيبية) بما تحمله من تثبيتات وتصعيدات لاحقة.

مع التشكل التام للأنا الأعلى يتحول الإنسان الى كائن أخلاقي، وسمة هذا الكائن وحجر الأساس فيه كإنسان مكتمل هي القدرة على «الشعور بالذنب»، كذلك القدرة على التناغم والتوفيق ما بين الحاجات والغرائز والرغبات وبين المبادئ الأخلاقية والقيم الاجتماعية والواقع الخارجي.

قبل نضوج هذا التشكل تخضع الأنا الطفلية لتطورات متلاحقة متعلقة بنمو الطفل الفيزيولوجي وسلم أولوياته واحتياجاته، ومن أهم المراحل التي وصفها فرويد والتي تسم الجنسية

الطفلية أو بتعبير أدق «الليبيدو الطفلي»:
- المرحلة الفموية، وتتزامن مع اعتماد الطفل الكلي على أمه من خلال الرضاعة؛
- مرحلة السادية الشرجية، والتي تتزامن ومرحلة تعليمه على اكتساب النظافة والتحكم بمفرزاته الخارجية؛
- المرحلة القضيبية، التي ينتقل اهتمام الطفل فيها الى أعضائه الجنسية وتتداخل مع تصفية عقدة أوديب، ومن ثم طور الكمون الذي يستمر حتى عهد البلوغ لتبدأ مرحلة جديدة؛
- المرحلة التناسلية، والتي تتوافق والتشكيل المكتمل للطبقات النفسية الثلاث (الهذا، الأنا، والأنا الأعلى).

نتساءل هنا: ما هو إذاً تأثير الضعف أو شبه الغياب لتشكيل «الأنا الأعلى» الذي يجب أن يشكل ركناً أساسياً من أركان البناء النفسي السليم؟ وما هو البديل الواقعي لهذا الغياب؟

هل يكفي القول إن الرادع الأهم سوف يبقى الخوف من الانكشاف أمام الآخرين، وبالتالي فإن هذا الكائن قادر على خرق كل المحظورات في غياب الرقابة الخارجية؟ أم يجوز لنا الافتراض بأنه في ظل غياب هذا التشكيل المكتمل للإنسان الأخلاقي فإنه من الممكن أن تجنح الأنا للخضوع للتشكيلات النفسية الأولية «ما قبل الأخلاقية»، السابقة للتشكل التام للأنا الأعلى والطبقات النفسية؟ وسوف يكون هذا الخضوع متعلقاً بقوة التثبيتات في كل مرحلة من مراحل تطور الليبيدو الطفلي.

إن نظرة عامة الى أنماط «الاخلاق» السائدة كفيلة بأن تكشف لنا عمق ارتباطها بتلك التشكيلات الأولية. فالاتكالية والعجز والميل الى التلقي السلبي هي سمة المرحلة الفموية؛ والعدوان والمرحلة والفحولة (التشبيح) هي من سمات المرحلة القضيبية؛ أما أكثر هذه التشكيلات التباساً فهي «متلازمة السادية الشرجية»، والتي يميلها المغروس الى التشدد والانضباط والنظامية، وبتقديرها الفائق لميزات الحرص والاكتناز وجمع المال ونبذ التبذير، وبتأكيدها الوسواسي لأهمية النظافة والترتيب والهندام الشخصي، وبعنادها الشديد الذي يضفي عليها مسحة من القوة والتحدي، إنما تتشابه في شطر كبير منها مع «الأخلاق» العامة المتوارثة، وكذا بشطر آخر مع الأخلاق الطبقية والقيم «العصرية» للحداثة الغربية.

وبهذا فإن التثبيتات السادية الشرجية، وبخلاف التثبيتات الأخرى، تخدعنا، وتفرض نفسها علينا، أفراداً وجماعات، كمثال أخلاقي قادر، وتكتسب قوة القيم الاجتماعية المقدسة غير القابلة للطعن أو للنقد، أو حتى للتساهل. إلا أن هذه القوة القاهرة والقادرة، وبما هي تشكيل نفسي أولي مصعّد لكائن يفتقد لعنصر هام من عناصر البناء النفسي، ألا وهو «الأنا الأعلى»، فإنها سوف تبقى قيماً صلدة بلا ضمير، تفتقد للمراجعة وحساب الذات، ويغيب عنها التسامح والتقدير الإنساني. فالطبع الشرجي لا يملك إلا مسطرة حديدية صلبة وعليها يقيس كل الأشياء بلا تردد، إنها «سرير بروكست الذي يتمدد عليه الجميع لتقطع أطرافهم أو لتنخلع مفاصلهم حتى يكونوا على المقاس»!

خمسة مواقف نفسية / طبعية من الثورة، وفي الثورة

بناء على ما سبق يمكن القول إن الثورة السورية قد أنتجت، أو لنقل رسمت الحدود بين خمسة فئات متباينة أخلاقياً من الشعب السوري، وقد تعزز هذا التباين بحالة الفوضى المتزايدة منذ سنوات وبفائض الحقد الذي تراكم يوماً بعد يوم، ودفع أكثر فأكثر للتفلّت من أية موانع شكلية سابقة، أخلاقية أو قيمية أو قانونية:

1 - فئة المجرمين والشبيحة التي تنطلق من موقف عدائي متسلط يرتكز على الطبع المتثبت في المرحلة القضيبية، والتي لا تنظر إلى العالم إلا بوصفه موضوعاً للاغتصاب والعدوان وإشباع النوازع/المصالح الذاتية الفردية أو الجمعية. وهي تفتقد إلى أبسط العواطف الإنسانية، ولا تعرف معنى التعاطف مع الضحية وتتغذى على منبعين لا ينضبان من الحقد: الطائفية والطبقية. لا تقتصر هذه الفئة على المجرمين العمليين، إنما يمكن توسيعها لتضم الشبيحة المحتملين من المعجبين بالنظام السوري والمفتونين بقوته ودمويته اللامحدودة.

2 - الفئة الثانية وهي الأقلية التي حُرمت من فرصتها في التحول لأكثرية بفعل العنف المفرط وغياب التعاطف العام معها، فئة أصحاب الضمير، الأفراد مكتملي النموّ النفسي. هؤلاء من حملوا راية الحرية والكرامة والنضال السلمي وخرجوا في مواجهة الظلم والقمع، هؤلاء هم من قُتلوا أو هُجّروا أو اعتُقلوا، وهم أصحاب الصوت الأكثر صدقاً، الأقل حضوراً. وهي الفئة التي تعرضت لأكبر استهداف من النظام ومن «المعارضة» على السواء، كما اتضح لاحقاً.

3 - الفئة الأكبر، وهي الفئة المتدينة التي اندفعت ذاتياً أو موضوعياً للوقوف ضد النظام القائم، وقدّمت أكبر التضحيات. سمتها الأبرز الفوضى والغرائزية، وهي لا تخضع لتثبيت نفسي معين أو غالب، إنما تفتقد للنمو السليم والمكتمل وليس لديها ضمير داخلي يحاسب ويراجع، وإنما رقابة خارجية تمثلها قيم الدين والسلطات المتوارثة. من السهل التفلّت من هذه الرقابة في ظل الفوضى وتفكك النظام العام والعلاقات الاجتماعية لتسود الغرائزية اللامنضبطة التي تُخرج أسوأ ما في النفس البشرية من نزعات، وأعظم ما فيها من قدرة على البذل والتضحية بالنفس.

4 - الفئة الطفيلية التي تتوافق مع تثبيتات المرحلة الفموية، والتي رأت في الثورة ثدياً استثنائياً وفرصة للإفادة الشخصية سواء بالسفر أو باللجوء أو بالعمل المأجور في مؤسّسات دعم الثورة أو ربما بالشهرة أو باللُهاث وراء الدورات والورش التدريبية الفارغة التي تنظمها بعض المؤسسات والدول. ربما لا يخلو أفراد هذه الفئة من الانتماء والعاطفة الإنسانية تجاه الشعب أو القضية، إلا أن الدوافع الذاتية هي محرّكها الأهم، ويشغلها ما تستطيع كسبه واستدخاله. وبالطبع لا أبغي هنا التعميم ولا الإدانة لكل من خضع لدورة أو طلب لجوءاً سياسياً، إنما الحديث عن فئة سمتُها الطبعية الفارقة الطفالة والاتكال والبحث عن الفرص والمنح والعطاءات.

5 - الفئة الخامسة، وهي فئة واسعة من المؤيدين للنظام أو الصامتين وبعض أطياف المعارضة اليسارية، وهم عموماً الأقل تديناً، والأكثر قرباً من مفاهيم العصر، وغالبيتهم من الأقليات، وهذه الفئة هي التي احتلت المتلازمة السادية الشرجية لديها مكان الأخلاق والضمير. تُظهر هذه الفئة ميلاً كبيراً نحو الحفاظ على مصالحها، ولديها مخاوف كبرى من الخسارة، تؤرقها الهواجس التنظيمية، وهي لا تمتلك حداً أدنى من القدرة على التضحية وترغب بإنجازات مصلحية مجانية، وقد كانت هذه هي الحدود التي حكمت تصرفاتها طوال فترة الثورة.

يمكن القول إن النظام قد استفاد جداً من موقف هذه الفئة، الواسعة، وعرف كيف يلعب على مخاوفها، ويمكن القول أيضاً إن طبع هذه الفئة الانتهازي وحالة الإمساك المزمنة التي تعانيها قد فوّتت على السوريين عموماً فرصة القفزة الحضارية التي كانت ممكنة فيما لو أبدت حداً معيناً من شجاعة التضحية أو الاستعداد للخسارة الآنية في سبيل أهداف بعيدة وسامية.

يتبع ..

موت طفل لا يكفي لإيقاظ جميع الضمائر

أنور عباس

لا يبدو أن موت طفل في مقتبل العمر غرقاً وأسرته تحاول العبور به ومعه إلى بر حياة أفضل كافياً ليوقظ ضمائر الجميع، لكنها تكفي لإيقاظ قرائح المحليين والمجتهدين من مدعي الذكاء وثخيني الجلود وقليلي الحس وعديمي المشاعر. نعم. أنا غاضب لهذه الدرجة يا سادة.

ما أن بدأت وسائل الإعلام تنشغل بخبر جديد عن موت ألان الكردي المفجع والصادم، حتى تنطع عتاة التحليل الإعلامي والجنائي والأخلاقي والمنطقي لفصفصة القصة ودحض الروايات التي دارت حولها وعنها، عن عمة الضحية التي كانت تحاول استقدامه وعائلته إلى كندا حيث تقيم، إلى دور الأب في تدبير رحلة الموت تلك، ووضعية الطفل الغريق المستلقي على بطنه التي تتنافى مع أساسيات التحليل الجنائي والعلمي الذي يقول إن الغريق يجب أن يكون ممدا على ظهره. فكل ما حدث كان مرتبا مريبا وعن سابق تخطيط، فهذا، على ما بدا لبعض جهابذة التحليل، جزء من مؤامرة كونية غامضة على سوريا، على راحة البعض، على من ادخروا طويلا ليشتروا بيوتا، ومن يقضون لياليهم في المطاعم والمقاهي الفاخرة ونهارهم يتسوقون في المحال الباذخة على بعد أمتار من أكوام البيوت وجثث الأبرياء، وعلى صمود نظام الممانعة الذي يحمي الأمة العربية ويدافع عن قضية فلسطين. نعم لقد كانت قصة ألان الكردي وقبلها قصة أطفال درعا وحكاية حمزة الخطيب أكاذيب مدبرة لتخدم مخططات كبرى عظيمة لدول الشر، ولجر سوريا إلى الخراب، لأن بقية السوريين يغارون من هؤلاء ويحسدونهم على حياتهم الرغيدة الهادئة الوديعة، ولأن العرب العاربة تحسدها على نظامها العلماني الذي يناطح أمريكا كل يوم ويمرغ أنفها بالتراب، ولأن إسرائيل لم تستطع هزيمتها على مدى ستين عاما، ولأن أمريكا لم تستطع اقتلاع الأسد كما اقتلعت صدام حسين.

كم يلزمنا من الوقت والألم حتى نقيم لموت طفل الوزن الذي يستحق، ونعترف فيما بيننا بمحنتنا كمجتمع واحد، ونشعر بألم كل فرد منا مهما بعد عنا من حيث الجغرافيا والعرق واللون والدين والمعتقد، وكم نحتاج من الموت والوجع حتى ندرك أنه إن تعثر سوري في أقصى الأرض فعلى بقية السوريين أن يتألموا معه، بل وإن تعثر

طفل في الصين أو الإكوادور فسقوطه أمر يعني الإنسانية جمعاء.

تفنن عتاة التحليل بدحض رواية العمة عن محاولاتها استقدام أخيها وعائلته التي لم ينج منها إلا الأب المكلوم إلى يوم يموت، وأصبحت العمة في نظر البعض امرأة كاذبة، تستغل الحدث، ولم يتردد الكثيرون في سرد تحليلهم لروايتها بذكاء عظيم، مبدين ما أوتوا من قدرات هائلة على قراءة ما بين السطور، ومقارنة الوقائع والروايات، ولم يعد موت الطفل ووالدته وأخيه وآخرون مثلهم أمرا ذا شأن، فالأولوية هنا لمعرفة خفايا الأمور، والمخفي أعظم دون ريب أو هكذا يقولون.

ولا تزن هنا محنة ملايين اللاجئين والنازحين عن ديارهم شيئا، بل لا يرونها أبدا، ولا تلفت انتباههم على الإطلاق، فثمة أمور أعظم، فالطفل النائم على وجهه على الشاطئ وحركات جندي حرس السواحل التركي، والمصورة التي ظهرت من حيث لا يعلم إلا الله، والانفجار الإعلامي الذي صاحب الواقعة المأساة هي أمور تثير الشكوك، وتدعو للتأمل والتحليل لمعرفة خفايا تلك المؤامرة التي تحاول إيهامنا بأن ضمير العالم قد استيقظ، والحديث عن الأب بوصفه، كما يقولون، المهرب الذي قتل كل هؤلاء ينفي تماما كونه الأب المكلوم اليوم ولاجئا في بلاد لا تعطيه صفة اللاجئ ولا حقوقه، وأن أربعة أعوام من القهر والجوع والتشرد واللجوء وانسداد الأفاق وانعدام الأمل بحل قريب التي تراكمت دون أن يلحظها هؤلاء لا تكفي لتفسير الزيادة الهائلة في موجات الهاربين إلى أوربا بحثا عن حياة أفضل، أو عن حياة في الحقيقة. فألمانيا تسعى لاستقدام السوريين لحاجتها لليد العاملة، وموت ألان المدبر يصب في تلك الخطة الكبرى لفتح أبوب الهجرة للسوريين، الأذكياء، وأصحاب الشهادات والعقول النادرة، حيث سيصلون إلى ألمانيا، البلد العملاق الذي يتراجع عدد سكانه، وسيصبح أبناؤهم ألمانا يخدمون الدولة الألمانية. ليس هناك من سبب إنساني واحد يدعو ألمانيا، أو السويد أو النمسا لقبول هؤلاء المعذبين في الأرض على أراضيها، نحن نحتكر كل الانسانية بينا ظهرانينا وفي قلوبنا وعقولنا وعلى ألسنتا، ولم يبق منها للأوربيين من نصيب.

يجلدك صنف من الناس بثخانة جلدهم، وتبلد عقولهم، وتموت قلوبهم وتتفحم مشاعرهم وهم يمعنون في قراءة أبعاد تلك القصة، وغيرها من القصص الكثيرة، وتشعر وأنت تستمع إليهم مضطرا بأنك أمام هيكل عظمي لكائن لا يشبه أي كائن آخر، كائن أقرب إلى ما تراه في متاحف التاريخ الطبيعي، ومتاحف الشمع، والمقابر القديمة التي تفوح منها رائحة الموتى.

العمالة السورية في لبنان

حمد الطويل

تستمر الحرب الكونية على الشعب السوري بأشكالها المتعددة، وذلك بعد أن أوغل النظام القاتل بسحق هذا الشعب ابتداءً من قوته اليومي وانتهاءً بحياته ووجوده على أرضه، حيث لجأ السوريون الى دول الجوار ومنها إلى مصيرهم المجهول عبر البحار تاركين خلفهم بيوتهم وأرزاقهم وأعمالهم ومستقبلهم، طالبين النجاة بأرواحهم فقط.

وفي شكل غريب من "رد الجميل" للشعب السوري الذي استقبل على مر السنين اللاجئين من دول عدة أقربها إليه لبنان التي لجأ شعبها إليه على فترتين قريبتين أخرها حرب تموز عام 2006، رفض الاخير قيام أي مخيم يحمي السوريين ويأويهم وينظم تقديم المساعدات لهم، وجاء ذلك بقرار سياسي وبحجة عدم مقدرة لبنان على تحمل هذا الكم من اللاجئين، إضافة إلى خوفه من التغيير الديموغرافي السكاني في لبنان، وفي الأساس يبدو القرار معاقبةً للشعب السوري على رفضه الظلم وثورته ضد الطاغية.

وقد اضطرت هذه الأوضاع المؤسفة الكثير من اللاجئين الى افتراش الأرض مع أسرهم وذلك بسبب الغياب شبه تام للمنظمات الإنسانية.

كما أضطر الكثير من المعيلين لهذه الأسر للعمل بظروف غير لائقة إنسانياً أو قانونيا بهدف تأمين أبسط مقومات الحياة وأولها المسكن الذي حرم منه السوريين بعد دمار بلدهم.

تقدر العمالة السورية بنسبة 90% من مجمل العمالة الكلية في لبنان، وكان عدد العاملين السوريين في لبنان قبل الثورة يقارب الـ 600 ألف عامل، إلا أن العدد ارتفع إلى أكثر من مليون مؤخراً جراء توقف العديد من المصالح عن العمل وازدياد البطالة داخل سوريا إضافة إلى دخول النازحين إلى سوق العمل في لبنان لعدم كفاية الاعانة التي تقدم لهم.

وعلى هذا باتت العمالة السورية في لبنان تقسم الى قسمين: وافدة من داخل سورية بقصد العمل لتأمين لقمة العيش والعودة للوطن الأم لعدم وجود صراع في مناطقهم، وعمالة أخرى وجدت نتيجة اللجوء ولها نفس المقصد وهو تأمين مستلزمات الحياة في بلد يعد من أغلى دول العالم. ولكلا هذين النوعين مشاكله الخاصة.

فالعمالة القادمة من سوريا تصطدم بكثير من المعوقات أبرزها شرط وجود كفيل لبناني أو شركة خاصة تكفله وتعمل على تأمين اقامة قانونية له ما يستوجب دفع رسوم تصل حتى 300 دولار أمريكي في معظم الأحيان تكون على حساب العامل.

وذكر سامر أحد العمال السوريين في إحدى شركات البناء أن إشكالات كثيرة يعيشها العامل في لبنان أهمها تحكم الكفيل المطلق به وزيادة وقت العمل وتخفيض الأجور وعدم وجود تأمين صحي كما يدعون. أما في حال تأمين الشركات للسكن فهو يكون أشبه بزرائب الحيوانات ولا تحمل أدنى مقومات العيش السليم. فضلا عن عدم التعويض اللائق في حال حصول حوادث العمل رغم أن الكفالة من المفترض أن تؤمن قانونيا كل ذلك. ولا يستطيع العامل مقاضاة كفيله وفي حال شكواه للجهات المختصة فانه لن يجد آذاناً صاغية.

من جهته قال مجد صالح أحد العمال في لبنان أن موضوع الكفالة فتح بازاراً لاستغلال العمال، فقد تعرض مجد لذات التجربة مع كفيل أراد استغلاله باختصام مبلغ 600 دولار بدلا للكفالة، ولما رفض مجد ذلك قام بطرده من العمل وخصم 10 دولار من أجره اليومي البالغ 35 دولار.

أما بالنسبة للعمالة الموجودة داخل لبنان من اللاجئين السوريين فلها من مشاكلها الكثير: أولها عمالة الأطفال تحت السن القانونية، والتي تنتشر بشكل كبير وبكافة مجالات العمل المجهد حيث الاستغلال بأبشع صوره، ابتداءً من عدد ساعات العمل وانتهاءً بالأجر الزهيد. أما العمالة لغير الأطفال فلها على الأغلب نفس مشاكل العمالة الوافدة من داخل سورية بشكل نظامي، زد عليها استغلالها المضاعف لعدم شرعيتها قانونياً، وذلك بالأجر الممنوح وعدد ساعات العمل الطويلة وظروف العمل القاسية. وهنا تتحدث صافية عن عمالة النساء في سهل البقاع بأعمال الزراعة حيث تتقاضى كل واحدة منهن مبلغ 8 الاف ليرة لبنانية ما يساوي خمسة دولارات ونصف، بينما كانت الأجور تساوي 10 دولارات لذلك النوع من العمل.

وتعود ظاهرة تعرض العمالة السورية للاضطهاد والظلم في لبنان لأسباب عدة أهمها عدم وجود قوانين صارمة من الحكومة اللبنانية تحمي حقوق العامل السوري، وغلاء المعيشة الذي لا يتناسب ابدا مع الأجور، وتقييد حركة دخول وخروج العمال السوريين من وإلى بلدهم بسبب إلغاء اتفاقية المعاملة بالمثل من قبل طرف واحد، ووضع شروط صعبة للدخول وبتكلفة وكفالة عالية.

وربما كان لضعف المنظمات الإنسانية وعدم قدرتها على حماية النازح أمام الدعوات والأصوات العنصرية والإجراءات التعسفية بحق النازحين أكبر التأثير على حياتهم اليائسة، خاصة أن لبنان بلد يتأثر بالمناخات السياسية الخارجية، وأكثر مؤسساته مرتهنة أو مسيطر عليها من قبل حزب الله شريك النظام السوري في سفك دماء السوريين.

وبين هذا وذاك تستمر معاناة السوريين باستمرار المؤامرة الكونية ضدهم وتخاذل المجتمع الدولي والإنسانية جمعاء وعدم وقوفها إلى جانبهم أو سعيها من أجل وقف نزف الدماء والتهجير القسري المستمر منذ سنوات.

راح رحيّم راح كبيري

كيف عَلم والدا ناظم حمّادي بحادثة خطف ابنهما

ميساء حمّادي.

لم يستقبل أبي وأميّ خبر اختطاف ابنهما ناظم بطريقة عادية، كأن يتصل بهما أحد إخوتي ويخبرهم بما حدث له ولبقية زملائه، أو يخبرهم أحد الجيران أو الأصدقاء. فقد ارتأينا جميعاً إخفاء الموضوع عنهما ريثما نتوصل إلى طريقة لمعرفة مكانهم أو ربما ليتمّ الإفراج عنهم بعد أيام قلائل. ولكن، وعلى غير العادة شاءت الصدفة أن يعود التيار الكهربائي تلك الليلة إلى قريتنا الصغيرة الواقعة في ريف إدلب، بعد انقطاع دام أشهر!! هرول أبي لسماع الأخبار، حيث كان وأميّ يتسامران عادة في ظل عدم وجود التلفاز والكهرباء.

أبي كانت لديه مشكلة في سمعه منذ الصغر، وما أن أشعل التلفاز حتى رأى خبراً عاجلاً مفاده: (اختطاف الناشطين: رزان زيتونة ووائل حمادة وسميرة الخليل وناظم حمادي)... كان وقع الخبر عليه كالصاعقة حيث التفت بوجهه الشاحب نحو أمي التي سمعت الخبر لعدم قدرتها على القراءة، وكأنّه نسي أنها تسمع وقال لها بلهجته القروية (خطفوه يا حجة لناظم) فجاوبته أمي بنفس اللهجة (شو متوقع يضلوا تاركينوا لهلأ بالغوطة؟ طفيّ التلفزيون شو بدك تشوف لسى). وأطفأه وجلسا على أريكة صغيرة وصمتا كأن سنينهم السبعين تمر أمامهم. فقد كانت أمي تقول دائماً "لا أذكر أيامي قبل ناظم فكأنّه معي منذ ولدت".

بعد سماع الخبر بدأت رحلة عذابهما غير المنتهية، حيث أصبح أبي بعد الحادثة يجلس يومياً في ساحة القرية ينتظر الحافلة الوحيدة التي كانت تصل قريتنا النائية بدمشق، وما إن تصل حتى يبادر فوراً إليها ويسأل السائق "ما سقط لسى؟ ما وصلوا على الشام؟ طيب ما لقوا ناظم؟" فيجيبه السائق بوجهه المرهق من السفر بالنفي غير آبه مرات، فلديه من الهموم ما تنسيه أننا في ثورة أصلاً.

ويعود ليتكرر ذلك المشهد يومياً وأمي تجلس على الشرفة تنظر إلى البعيد لكنها لا ترى شيئاً، بل تعيد شريط ذكرياتها، فقد كان كبيرها وصديقها وكانت تلقبه في الوقت نفسه بلقب (رحيّم) نسبة إلى "يحيى الفخراني" في إحدى مسلسلاته. فقد كان أيضاً الكبير ودائماً ما كان يعود ليبكي على قدمي أمه، وهذا ما كان يفعله ناظم أحياناً. فتذكره وتبكي وتقول: "راح رحيّم راح كبيري".. ونحن -أولادها وأخوات ناظم- عاجزون تماماً عن مواساتهما أو فعل أي شيء يخفف عنهم ويوقف تسلل المرض خلسة إلى جسديهما المتعبين والمنهكين أصلاً.

والدا المختطف ناظم حمّادي

بعد الحادثة بحوالي العام بدأ أبي يشكو من آلام شديدة في صدره وبدا كأنّه يزداد خوفاً وسؤالاً عن ناظم، عرضناه على أطباء كثر في إدلب ليجمعوا على أنّه مصاب بسرطان الرئة وبات في أيامه الأخيرة.. تمنيت حينها لو يراه خاطفو ناظم لدقيقة واحدة "لتعود" الإنسانية إليهم، فرجل هرم مثله ينظر بعينيه النصف مفتوحتين ويمشي بقدميه المرتجفتين من المرض لا يكفّ عن السؤال عن ولده علّهم يعيدوه إليه ليغمض عينيه ويريح جسده أخيراً وهو مطمئن بأن لنا كبيراً بعده يأتمنه علينا. لكنها بقيت أمنية فهؤلاء ماتت الرحمة في قلوبهم.

تأزمت حالته كثيراً بعد ذلك فاضطررنا لنقله إلى دمشق تحت اسم مستعار بعدما كشف الإعلام عن اسم ناظم الكامل وتفاصيل نشاطاته المتعلقة بالثورة، حيث مرت الرحلة بسلام وتولى أحد أصدقاء ناظم استقبال الوالدين وتأمين سكنهما في أحد البيوت التي سكنها ناظم سابقا، ولكنه أخفى عنهما ذلك خوفاً على تأثّر أبي، فنحن في مصيبة كبيرة حيث بدأنا نشعر بأن وضع الوالد يزداد سوءاً. وعندما كان أبي يشعر بالتحسن قليلاً بواسطة الأدوية المسكّنة كان ينزل ليمشي في شوارع دمشق بعد فراق سنتين ليرى نفسه غريباً ويعود إلى البيت، فتسأله أمي: ليش رجعت؟ مو مشتاق للشام؟ مو مشتاق تشوفها؟ فيجيبها بصوته المجهد: "ما هي هي الشام يا حجة ما عم أعرف الشوارع خفت ضيع رجعت" ...

لم يمضِ شهرٌ على أخذ والدي (الجرعات الكيماوية) حتى تعرّض لشلل دماغي وفقد حاسة النطق، وذات يوم كان ينظر إلى أرجاء البيت بعينيه، ربّما كان يتمنى أن يرى ناظم متجولاً حوله.. لكنه فارق الحياة في فجر الثاني عشر من شهر كانون الثاني 2015 بينما كانت أمي جالسة بجانبه وهي ترى آخر كبير لها بالعائلة قد تركها إلى الأبد.

عادت أمي به جثة إلى القرية، وتركت وراءها الشام جثة أيضاً، ولم يعد يعنيها ماذا سيحل بها أو متى ستعود فلا شيء فيها يشعرها بالحنين، فقد ودّعت في دمشق ليلتها تلك أبي وعمرها. وعادت لتجاور المقبرة كل يوم، وتستيقظ كل صباح لتخبر أبي بأن الحرب لم تنته، ولم يعد ناظم بعد.

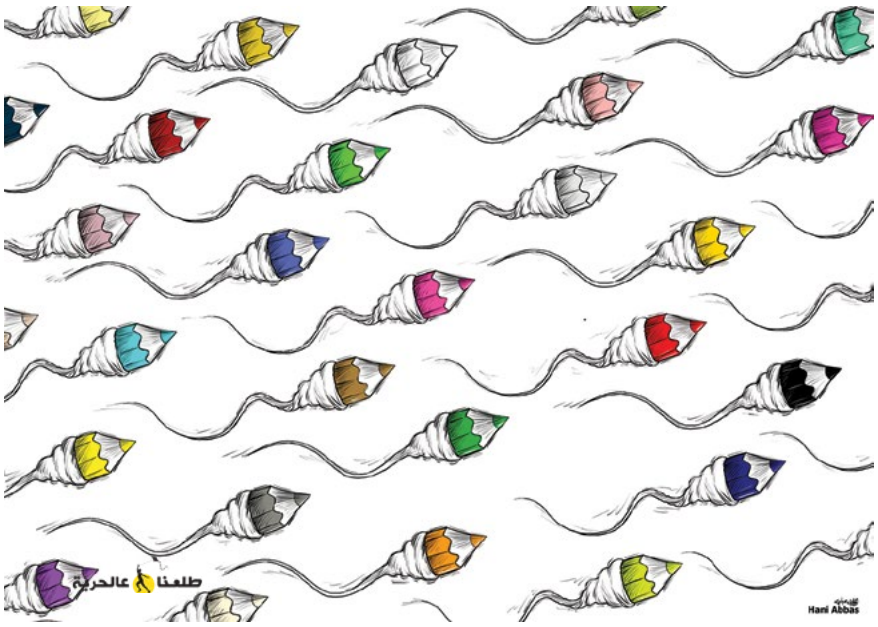

السويداء.. واحتمالات المواجهة

عدي اليوسف

قبل الحديث عن مستقبل السويداء والخيارات الممكنة أمام القوى الفاعلة فيها، هناك مجموعة حقائق من الواجب ذكرها، وقد فرضتها المستجدات المتسارعة منذ اعتصام (خنقتونا) الذي رد النظام عليه بجريمة التفجيرين، أولهما الذي طال موكب الشيخ الشهيد وحيد البلعوس وأعقبه الثاني أمام المشفى الوطني لحظة تجمع الناس أمامه، مرورا بقيام مجموعات من الأهالي بتدمير تمثال حافظ الأسد وإزالته وتمزيق صور بشار الأسد، وصولا إلى مظاهرة التشييع التي شكلت حراكاً يمكن القول إنه شعبي لأول مرة في المحافظة، بمعنى أن الحضور السياسي المعارض كان جزءاً فقط من تلك المظاهرة الكبيرة والتي لم يتسن للإعلام عرضها بوضوح بسبب قطع خدمات الانترنت عن كامل المحافظة وقلة الخبرة بالتصوير.

لم يخفِ المتظاهرون وجوههم هذه المرة بل أبرزوها شامخة عالية أمام كاميرات التصوير معلنين تحديهم للأجهزة الأمنية في مظاهرة نادت بإسقاط النظام ووجهت أصابع الاتهام لكل من بشار الأسد ووفيق ناصر دون أي مواربة أو خوف.

وبالعودة للحقائق الواجب توضيحها نورد ما يلي:

1 - يمكن القول إن النظام قد خسر حاضنته في السويداء بأغلبيتها، ولم يبق له سوى بعض المرتزقة والمخبرين والمهربين وتجار الأزمات. والأهم أنه لا عودة عن هذا في ضمائر الناس ووعيهم، الناس حسمت أمورها تجاه النظام وباتت تعتبره مرفوضاً جملة وتفصيلاً، مرفوضا بكل أجهزته وممثليه وبيادقه، صور رأس النظام أزيلت حتى عن حواجزه هو، مظاهرة التشييع شارك بها عناصر مما يسمى "الدفاع الوطني" ونادوا بإعدام رأس النظام، كتائب البعث كانت تحيي المتظاهرين من سطح مبنى المحافظة.

2 - لا يهمنا سقوط ورقة حماية الأقليات التي تغنى بها النظام أمام المجتمع الدولي، لأن الأخير ساقط أخلاقيا وسياسيا بما يخص الملف السوري، المهم سقوط هذه الورقة أمام أعين الأقليات نفسها، خمسة أعوام من الضخ الإعلامي الهائل لصناعة أوهام عداوة المحيط، كان النظام يشعر خلالها بتراكم فشله التدريجي، وعجزه عن إنتاج صدام بين السويداء ومحيطها، متوجا فشله بجريمة التفجيرين، مسقطا كل أوراق التوت وناقلا صورته من لاوعي الناس إلى وعيهم أنني أنا العدو الأوحد لكم.

3 - تمثيلية الإفادة "إفادة وافد أبو ترابة"، التي وضع النظام الجميع عبرها في سلة واحدة، من وليد جنبلاط إلى "إسرائيل" والأردن والجيش الحر، إلى بعض نشطاء معارضة السويداء وحتى رجال البلعوس أنفسهم، هو يعرف قرب انهيار مصداقيتها (النظام يعرف أن اثنين من المخططين للعملية حسب الإفادة يستطيعان اثبات وجودهما بمكان آخر أثناء التفجير، سليم أبو محمود كان في حفلة عرس).

معرفة النظام بأن روايته ستنهار هو فعل قصدي غايته تحدي السويداء التي بدأت بالنهوض في مواجهته منذ مظاهرات (خنقتونا)، شكل من أشكال تقاليد هذا النظام وذهنيته الثابتة في التعامل مع ملفاته (لبنان ونموذج اغتيال الحريري والانسحاب من لبنان وترك ميليشيا ضخمة كحزب الله تعيد ترتيب الأوضاع بما يتناسب مع مصالح النظام)، ضربة كبيرة مكشوفة وامتصاص رد الفعل الأول وبعدها تأتي مرحلة ترتيب الأوراق.

4 - هناك بدايات حقيقية لتفكيك شبكة الحضور الأمني في المجتمع، ذلك الحضور الذي يعتمد على خوف الناس وتفتيت وحدتهم، وربط حياتهم الشخصية بمقدار حضور الخوف في دواخلهم والذي يُشعر الأجهزة الأمنية بالرضى ويجعل من أغلب الناس مخبرين. يمكن القول إن هذا الآن في السويداء بات من الماضي، الأجهزة الأمنية باتت عاجزة عن التحرك العلني، وهي تحاول تنصيب بدائل لها (دفاع وطني أو لجان) وأغلب هؤلاء منحازون للناس وأهل البلد.

بناء على المعطيات السابقة هناك ثلاثة احتمالات لطبيعة العلاقة القادمة بين النظام والسويداء، وهذا رأي شخصي لا يدعي امتلاكا استشرافيا للمستقبل، المشترك بين هذه الاحتمالات هو سقوطه النهائي (لنقل سقوط المركب الذهني النفسي الذي أنتجته الدولة الأمنية خلال خمسين عاما وتعبيره السلوكي بإزالة التمثال/الصنم الذي يعبر تاريخيا عن هذا المركب)، أي أنه بكل الاحتمالات لا عودة للنظام إلى سابق عهده في السويداء:

1 – الاحتمال الأول قد يكون مواجهة يبدؤها مشايخ الكرامة بالهجوم على مؤسسات النظام الأمنية، لمحاسبة قتلة شهداء التفجيرين، ما يدعم هذا الاحتمال ذهنية وروح وثقافة رجال الكرامة وما تربوا عليه في خصوصية الإرث المعروفي أن من اعتدى علينا من واجب الشرف والكرامة الرد عليه، في داخلهم رفض حاد للضيم وثورة على من (يدوس لنا طرف). هذا المركب الذهني النفسي متجذر ومعبر عنه بكل ميراث الجبل من قصائد وقصص شعبية وأحاديث المضافات، شكل حاد من أشكال العصبية القبلية، وهذا ليس تقييما بل توصيفا لحالة كان لها ما لها من تعبيرات الفعل التاريخي العظيم من انتفاضات وثورات ومقارعة للاحتلال.

2 – الاحتمال الثاني هو مواجهة متأخرة زمنيا قد تفسح المجال لصعود نشاط مدني لشريحة لا يستهان بها من الشباب الذين ظهروا يوم التشييع (تظاهرات – اعتصامات) ستكون رد فعل لأي حدث عرضي أو عابر. الناس بإخراجها النظام من داخلها تعرفت على طرق التعبير المدنية السلمية وجربت نجاعتها ونجاحها، تأخير المواجهة سببه أن مشايخ الكرامة يعيدون ترتيب الصفوف، بالإضافة للضغوط التي يتعرضون لها يوميا بأن المواجهة قد يكون ثمنها دماءً غزيرة وبيوت مدمرة وتهجيرا.

3 – أما الاحتمال الأخير فهو في تسوية بين النظام والسويداء، يعطي النظام من خلالها حكما شبه ذاتي للمحافظة بحيث يقوم المشايخ بالإضافة لقوى تشكلت خلال السنوات الأخيرة بإدارة المحافظة و يكون وجود النظام رمزياً فقط، وقد يقدم النظام كبش فداء مقابل ألا يكون هناك مواجهة مع النظام. وعلى ما يبدو أن عراب هذه التسوية هو اللبناني وئام وهاب، تسوية لا نستطيع التنبؤ ببنودها بالضبط فهذا عائد ككل تسوية لتقدير كل طرف لموازين القوى ولدخول أطراف دولية على خط المفاوضات ونقاش تفاصيل كثيرة عالقة، لكن المهم أن النظام سيترك ميليشيا تابعة له تعرقل أي توجه أو قرار لصالح المحافظة، هكذا هي ذهنيته وسياساته..

الرحمة للشيخ الشهيد وحيد البلعوس شيخ الكرامة بامتياز، الرحمة لكل شهداء سوريا، قدر البشر أن يصعدوا ويرتقوا لكن على درب الآلام .

بضعة خطوط.. بضعة خطوات نحو المعتقل...

عن الرسام الشهيد أكرم رسلان

هاني عباس

خلال ثلاث سنوات مضت كان هناك أمل كبير بأن أكرم سوف يخرج في يوم ما، وسوف نلتقي من جديد. سيكتب رسام الكاريكاتير الخارج إلى الحرية سيرته في المعتقل، سيرسم من جديد وينشر من جديد، سيخرج في سوريا الحرة الجديدة كبطل من أبطال هذه الثورة.. لكن الخبر الأخير بدد كل أمنياتنا ولهفتنا للقائه من جديد.

فأكرم الآن هناك.. ربما يرسم عنا الآن.. ربما يسخر من قتلته، ويسخر من كل هذا العالم.

ولد أكرم رسلان في حماة، تلك المدينة القابعة بألمها الخاص في ذاكرة السوريين. بحثاً عن الحرية، بدأ أكرم بالرسم، وكان له خطه القوي الذي يعطيه مساحة كبيرة لقول ما يريد.

رسم أكرم عن فلسطين والعراق ولبنان، رسم عن الثورات العربية منذ اندلاعها بحسه القومي العميق وتوقه للحرية.

بضعة خطوط.. بضعة خطوات نحو المعتقل...

اندلعت الثورة في سوريا ضد نظام الأسد وبدأ الناس ينزلون إلى الشوارع كاسرين سنوات من الصمت. بدأت أرواح السوريين تحلق في سماء الوطن مهللة للحرية القادمة، لسوريا القادمة.. بدون دكتاتورية، بدون فساد بدون قتل.. بدون الأسد.

بدأ أكرم بتوثيق الثورة كاريكاتورياً منذ أول يوم، من أول صرخة في دمشق وأول انتفاضة في درعا، لينقل يومياً الحدث وينقل الحقيقة في صدام مباشر مع الإعلام الرسمي الذي كان يكذّب كل شيء، ولا يعترف بوجود شعب ولا يصدق أن هذا الشعب قد قام... وقال "لا".

بدأ النظام بالاعتقال والقتل، بدأ القمع منذ اليوم الأول، وبدأ أكرم يرسم ويصرخ مع الشعب، بخطوط واثقة تكنيكياً.. بفكر واضح ولقطات ذكية.

يوماً بيوم وساعة بساعة وتحد بتحد، رامياً بعرض الحائط كل الأصوات التي كانت تخاف عليه وتدعوه للتخفيف من حدة رسومه. لم ينصت لهذه الأصوات بل أنصت إلى نبض الشارع الثائر، ليأت ذلك اليوم الذي سمعنا فيه عن اعتقال أكرم وتغييبه في أقبية النظام.

ورغم أن الجميع كان يعرف أن الداخل إلى هذا الجحيم من الصعب ان يعرف مكانه أو وضعه، بدأت العديد من الحملات المطالبة بإطلاق سراحه أو على الأقل إعطاء معلومات عن مكان احتجازه ووضعه الصحي ولكن دون جدوى، ليصلنا أخيراً الخبر أن أكرم قد استشهد في المعتقل في بدايات فترة اعتقاله.

قليلة هي المعلومات التي تخرج من المعتقلات، لكننا سمعنا أن أحد المعتقلين السابقين تحدث عن معايشته لأكرم داخل المعتقل، تحدث عن شجاعته رغم ألمه الجسدي الذي لم يمنعه من مواصلة نضاله وتحديه، ومحاولاته المستمرة لبث روح التفاؤل والحلم بالحرية القادمة إلى سوريا.

- بضعة خطوط.. بضعة خطوات نحو المعتقل... وخطوة أخرى نحو السماء.

المجد لك يا أكرم ... والبقية بأقلام زملائك الأحرار...

المُخبِر

نيرمينة الرفاعي

يخبّئ ابتسامتهُ الفارغةَ من أسنانها وراء يد ترتجف، وعيونه الدائرية تمسحُ أعمدة الشارع المائلة وشبابيكه الموصدة، يعدّ خيبات العشّاق على أطراف المقاعد كلّ مساء، ويسردُ كلّ ليلة حكايات أهَل المدينة لأذنٍ لا فمَ لها ولا وجهَ ولا عنوان، قطط الحارة تلعق البقايا عن غطاء علبة لبن فارغة، ثم تقفز إلى أحضان الثكالى المحتفيات بحزنهنّ ودمعهنّ وبشقّ الولادة في أسفل ذاكرتهنّ، عيونه الدائريةُ تقفز أيضًا إلى كلّ حضن، وإلى كلّ علبةٍ فارغة، بائعُ غَزْل البنات، يحملُ قطنه الملوّنَ فوق ظهره، والعيون الدائرية تنتف كلّ غيمة زهريّة لتنسابَ ذرّات سكّر دبقة فوق لهفةً الأطفال وضحكاتهم وحقائبَ مدرستهم، عجوزٌ يحمل جريدته الملأى بوظائف شاغرة منذ سنة 1960، والدوائر تلاحقه وترسم خطوطها المقفلة حولَ روزنامة عمره، يومًا بيوم، شيءٌ يشبه الموسيقى يخرج من حنجرة شاب يحلم بالسفر إلى بلاد لم يرها إلّا بالأفلام، تقبضُ عليه الدوائرَ المزروعةً في الهواء قبل أن تنضجَ الأغنية، وقبل أن تكتسبَ الحنجرةُ لغتها، وقبل أن يكتشف أينَ المطار، ذاتُ الرموش الطويلة توزع "السنونية" على أبواب أكلتْها أقفالُها، تسبّل عيونها لكل عجوزٍ سقطَت أسنانه، وتوزعُ ألوانَ القمح بشارة طفلٍ سيضطر يومًا إلى العضّ على أصابعه وليلِ وسائده كي لا تسمع همسهُ الدوائر، علبُ الزيت والسمنة مقصوصة الرأس تقف بفخرٍ ناصبةً رائحةَ ورق الخريف على أطراف الشبابيك والشرفات، حوافها مستقيمةٌ كالسيف ومعدنيةٌ كرصاصة مصوبة نحو عيونه اللعينة، هو لا يموت، فقطً يزداد ارتجافُ يده ويلتصق أكثر بظلّه المعتم الغارق في الجدار.

رائحةُ أوراق شدّةَ، اصطدامُ الملاعق بحواجزها الزجاجية، تشبّثُ الألوان بصحنها المَدعوك مرارًا بإسفنجة قديمة، والجالسون في المقهى عاجزون عن إيجاد مقابض لكاسات الشاي المحبوسة في دائرة كبيرة ويدٍ ترتجف وظلٍّ معتم في الجدار، لا مقاه في مدنٍ عيونها دائرية، النعنع يختنقُ في كاساتٍ بردت قبل أوانها، وكلّ الأوراق تسخرُ من أصابع نسيت كيف تقامر بحزنها كي تربح شيئًا من الفرح، دوائرٌ منصوبةٌ في الهواء، مزروعةٌ بين مطبّات المدينة، مدسوسةٌ في دفاتر طلاب الصف الأول الابتدائي، ملفوفةٌ حول خواتم الأزواج

بماذا نصح أحمد السوريين بعد خروجه من معتقلات الأسد

مشروع سلامتك
www.salamatech.org

استخدموا شبكة افتراضية خاصة وابتعدوا عن فايبر وواتس أب وتعلموا حذف الملفات، وتشفير الرسائل. هذا ما نشره أحمد على حسابه منذ أيام.

لم يلتفت النظام السوري وسلطاته الاستخباراتيه والأمنية إلى أهمية الاتصالات في مراقبة السوريين عند اندلاع الثورة، بل يعود هذا الاهتمام إلى ما قبل ذلك، لكن لجوء السوريين إلى التكنولجيا في ثورتهم، واعتماد الناشطين عليها بشكل كبير دفع النظام إلى مراقبتها على نحو أكبر، بل أصبح الهاتف الذكي والحاسب الشخصي هي أول ما يتم تفتيشه عند الاشتباه بأحد ما، وأصبح محققو النظام في سجونه وأقبية فروع أمنه يتهمون الإنترنت وفيسبوك والتكنولجيا بأنها جزء من المؤامرة الكبرى على سوريا.

وظف النظام قدرات كبيرة لخدمة جهوده الرقابية والقمعية تلك، واستقدم التجهيزات واستعان بخبرات أيرانية وروسية حسب تقارير عديدة، وشكل جيشه الإلكتروني، ولم يتخلى عن قبضته المحكمة على البنية التحتية للاتصال يوما.

أحمد مواطن سوري اعتقلته مخابرات النظام لمدة عام، وبعد خروجه كتب على صفحته الخاصة على فيسبوك منشورا يحث السوريين على الحرص الشديد حين استخدام الإنترنت، وأجهزة الاتصالات والحواسب الشخصية، ومنصات التواصل الاجتماعي، وبرامج المحادثات النصية والصوتية وغيرها.

يقول أحمد بأن ما رآه في المعتقل يثير الاستغراب، فكثيرون ممن قابلهم هناك اعتقلوا على خلفية منشورات على الإنترنت، أو محادثات على واتس أب، أو مكالمة هاتفيه مع خط «محروق» وضع تحت الرقابة. ويقول بأن البعض اعتقل بسبب «لايك» على صفحة أو منشور على فيسبوك!

أما ليلى وهي معتقلة سابقة أيضا، فقد قالت بأنها كانت تتقاسم زنزانتها لمدة شهرين مع اثنين وعشرين فتاة أخرى، وأنهن جميعا اعتقلن بسبب نشاط على الإنترنت، أو لدى تفتيش هواتفهن والعثور على مراسلات تشي بمعارضتهم النظام، وأن إحداهن، وهي موالية للنظام، اعتقلت على أحد الحواجز بسبب رسالة واتس أب بينها وبين شقيقتها التي كانت تقطن في مدينة إدلب حينذاك، وأخبرتها، في هذه الرسالة بأنها استوردت بضاعه جميلة من تركيا، فاعتقد عناصر الحاجز أنها رسائل مشفرة، وأن الحديث كان يدور عن إدخال دفعة من السلاح والذخيرة إلى الثوار في شمال سوريا، ودفعت ثمن ذلك شهرين من عمرها في سجون المخابرات السورية.

أما سلمى فقد قالت بأنها كانت واثقة من أن هاتفها وحساباتها خالية من كل ما يشير إلى تعاطفها مع الثورة، لكن رسالة قديمة على فيسبوك بينها وبين صديقة لها تشتكي فيها من سوء الأوضاع وتردي الأحوال المعيشية في منطقتها كانت كافية لاعتقالها وزجها في السجن لمدة من الزمن.

ليست تلك سوى نماذج عما تشكله التكنولوجيا من خطر على السوريين، وعلى كيفية تعامل أجهزة النظام معها. فهل من الممكن تلافي هذه لأخطار؟ ولماذا لا يزال السوريون بعد خمسة أعوام من الثورة، وعشرات بل مئات القصص عن سوريين آخرين اعتقلوا بسبب نشاطهم على الإنترنت، أو بسبب صورة أو ملف عثر عليه على أجهزتهم لا يولون الأمر الاهتمام الكافي.

إن تبني الممارسات الصحيحه هو الحل، لكن تغيير سلوك الفرد لتصبح هذه الممارسات سلوكا تلقائيا يتطلب الكثير من المواظبه والاهتمام.

هناك عدة أمور أساسية على مستخدمي التكنولوجيا التمسك بتطبيقها:

- استخدام شبكة افتراضية خاصة للاتصال بالإنترنت لحماية الاتصال وإخفاء موقعهم.
- الابتعاد عن استخدام حساباتهم على شبكات التواصل الاجتماعي للأمور الحساسه وإنشاء حسابات مخصصة لهذا الأمر وعدم الخلط بينها وبين الأولى.
- عدم ترك أي اثر يدل على نشاط المستخدم، ويتضمن ذلك حذف كل الرسائل والمنشورات الحساسة وطلب الأمر نفسه من الطرف الآخر الذي تلقاها.
- استخدام تقنيات حذف الملفات النهائي والآمن لضمان عدم إمكانية استعادة أي بيانات حساسة من قبل السلطات.
- تعلم كيفية الوقاية من البرمجيات الخبيثة لتلافي خطر الاختراق.
- استخدام تطبيقات اتصال آمنة والابتعاد عن تلك المعروفة بمزاياها الأمنية الضعيفة.
- تعلم استخدام تقنيات تشفير البريد الإلكتروني والرسائل المباشرة واستخدامها للحفاظ على سرية المعلومات.
- تعلم كيفة حماية الحسابات على الإنترنت بما في ذلك كلمات السر القوية وعامل التحقق بخطوتين.

هذه النصائح نشرها أحمد على حسابه على فيسبوك، وهي نصائح جيدة وشاملة وعلى الجميع الامتثال لها دون تردد.

وطوابع البريد على أوراق انفصالهم، مستلقيةٌ بين عقداتَ ظفيرة صبية تعشقُ لأول.. أو آخر مرّة.

في مدنِ العيون الدائرية أزرارُ القميص تشدّ على قماشها، الحذاءُ يحفظ قدميه ويتجاوزُ حفرَ طريقه دون امتعاض أو تأفّف، والرصيفُ يغيّر ألوانه تبعًا لفصل السنة، أو تبعًا لألوان (ثُمَر) السيارات المارّة، أتعلمُ ما شكل العيش في مدينةٍ كهذه؟ أتعلمُ ما صعوبة العيش في مدينة تتكوّر جدرانها على بعضها كلّ ليلة كجنين يرفضُ مفارقة رحم أمّه؟ أتعلمُ ما شكلُ العيون من حولكَ على أيّة حَال؟ أنجحت في إنقاذ عنقك من طوق الدوائر السوداء حتّى الآن؟ الجدرانُ ليست إلا ظلالَ العيون الغائرة في ثقوبها، أيعقلُ أنَ المدنَ بلا مخبرين لا جدرانَ فيها؟ وكيف يعيشُ مخبرو مدينة مبسوطةٌ شوارعُها ككفٍّ في يدِ عجريةٍ تقرأ المستقبل؟ أين تضعُ عيونُهم نفسَها في مدينةٍ بلا جدران؟ أين تتكئ أصواتُهم؟ وماذا يفعلون ليلًا بفراغ جيوبهم ورصاصهم من القصص والحكايا؟ وما مصيرُ أهلِ المدينة يا ترى؟ من ينتفُ السكّر عن غيومهم الزهرية؟ ومن يلملمُ الخريفَ عن علبِ زيتهم؟ وكيف تحدّدُ أحذيتهم مقاسَ طريقها؟ أسألكَ ما أسألك وأنا أدفعُ بأصص الورد المعدنيّة من على الشرفة، وأوزّعُ أوراق الشدّة على الشحّادين المحبوسين بدائرة انتظار اللون الأحمر على الإشارة الضوئية، وأديرُ عجلة اليانصيب مراهنةً على تغيير شكلِ المدينة قبل حلولِ الصباح، ثم أنامُ ملء تعبي حتى المساء!